أحلام مؤجلة

دار دريم بن للطباعة والنشر

العنوان : مدينة العبور - الحي السادس فيلا ٨ مدخل ١

هاتف : ٠١٠٠٠٣٢٨٨٥٩٦

بريد إلكتروني : gmail.com@yahoo.com@Dream.pen٩٢

أحلام مؤجلة (مجموعة قصصية)

هبة حامد

الطبعة الأولى، القاهرة ٢٠١٩ م

غلاف : عمار جمال

التصميم الفني: أحمد العدل

رقم الإيداع :

I.S.B.N:

جميع حقوق النشر محفوظة، ولا يحق لأي شخص أو مؤسسة أو جهة إعادة إصدار هذا الكتاب، أو جزء منه، أو نقله بأي شكل من الأشكال، أو وسيلة من وسائل نقل المعلومات، ولا يجوز تداوله إلكترونيًا نسخًا أو تسجيلًا أو تخزينًا، دون إذن خطي من الدار

أحلام مؤجلة

مجموعة قصصية

هبة حامد

دريم بن
للترجمة والنشر والتوزيع والطباعة

إهداء

إلى من آمن بقوتي حين ضعفي.....

وبقدرتي حين عجزي.....

وبتفوقي حين فشلي.....

إليه .... أهديك نبتة قلبي... منية عمري....

حلمًا قطعت السبل لأصل إليه.... وبذلت من أجله الكثير، فكانت يداه أول المرحبين بي...

إلى شركاء نجاحي:

زوجي وصديقي... خالد حسن

معلمي وناقدي.... أ/ خالد الجزار

رفيقة الحرف.... الكاتبة مروج سمير

ولا أنسى من أضاء عتمة سمائي، وعطَّر حقول أيامي، ونشر السكينة بين أركاني...

إلى من كانوا لي معاني طيبة للحياة، إلى أصدقاء الحياة والقلم...

أهديكم وليدي الأول، لعل حروفي تسعدكم .....

هبة حامد

مـــــقـــدمـــــة

لكل منا حلم يخفيه عن أعين الآخرين، يزرعه بين طيات عقله، ويرويه بماء اجتهاده، قد يجود عليه القدر بتحقيقه، فتكتمل أوراق سعادته، وقد يسلبه عنوة، فيمضي في طريقه حائرًا، بلا هدف.

فإذا قدمت لك الحياة موعدًا لإكمال حلمك، فلا تتردد واغتنم الفرصة، وجاهد في سبيله أشد الجهاد ولا تلتفت لسارقي الفرح، الذين يتشدقون بالحكمة وهم في منأى عنه.

وإذا قدر لحلمك أن يُجهض في رحم المعاناة، فلا تيأس، فربما تكون أحلامك المؤجلة ليست على قدر من السعادة، وأن موعد تحقيقها ما زال في طي المجهول.

هبة حامد

الكاتبة في سطور

هبة حامد محمود، معلمة لغةانجليزية وكاتبة مصرية.

وتعمل مدير تحرير موقع البيان بوست الإلكتروني

وهي من مواليد سلطنة عمان ١٦ اغسطس ١٩٧٧.

شاركت في العديد من الكتب الأدبية:

ديوان «حيثما كان قلبي»، مجموعة قصصية»طريق اللاعودة» الصادران عن دار كاريزما للنشر والتوزيع.

«همسات ولمسات»،»غيمات حبر وحب» و «قطوف وحروف» الصادر عن دار اللوتس للنشر والتوزيع.

كتاب «حلم»الصادر عن جريدة الموجز العربي.

كما صدر للكاتبة ديوان الكتروني بعنوان»حق الحب «

من موقع البيان بوست.

«أحلام مؤجلة» هو أول عمل أدبي منفرد للكاتبة،وهي مجموعة قصصية صادرة عن دار دريم بن للنشر والتوزيع.

الكاتبة حاصلة على العديد من الشهادات العلمية:

* بكالوريوس التربية قسم رياض أطفال

جامعة حلوان ١٩٩٩ بتقدير عام جيد جدا.

* شهادة المهارات اللغوية من كلية دار العلوم جامعة القاهرة بالتعاون مع مؤسسة جائزة

عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري ٢٠٠٨

* ليسانيس آداب قسم لغة انجليزية

جامعة القاهرة ٢٠١٢ بتقدير عام جيدا جدا

*دبلوم عام الدراسات العليا جامعة المنوفية ٢٠١٧ بتقدير عام امتياز.

*لديها العديد من المقالات والخواطر والقصص القصيرة على صفحتها الرسمية بالفيس بوك.

بقلمي.هبةحامد

للتواصل مع الكاتبة:

https://www.facebook.com/My.pen.Heba.Hamed

تكريم الراحلين

استيقظت على مهل وهي تجر قدميها جرًا، وتقاوم رغبتها في عدم اللحاق بأول يوم في السنة الدراسية الجديدة، الساعة تشير إلى السادسة وهي
ما زالت في فراشها.

أجبرت (أماني) نفسها على الاستيقاظ، وقد أخذت دشًا باردًا على عجل، وارتدت ثيابها السوداء سريعا، دون أن تتناول مشروبها الصباحي.

نظرت في الغرفة المجاورة، لم تجده، هو من اعتاد أن يوقظها كل يوم مبكرًا، وأن يداعبها بوابل من القبلات حتى تفيق.

يبدأ (سليم) في تجهيز حقيبته وهو صاحب العشر سنوات، ويجري سريعًا نحو المطبخ ويقوم بإعداد (مج) النسكافيه لأمه.

ولكن اليوم اختلف عن سابقه، أين سليم؟! وأين حقيبته؟ لِمَ ليس موجودًا في غرفته؟!

ثم ما هذه الملابس السوداء التي ترتديها؟!

يا ألله.... لقد مر أكثر من أربعة أشهر على رحيل الصغير، يا ألله ما زال الجرح حيًا لم يندمل، ونزيف الفراق يتدفق على أيام ليس لها طعم.

لقد غادر حياتها البسيطة، فجأة دون أي مقدمات، أطفأ شمعة سعادتها الوحيدة في هذه الدنيا البائسة، كيف سيكون أول يوم دراسي دونه؟! وهو الذي كان يشعل المدرسة بحيويته ومزاحه الدائم، الكل يحبه لحسن أخلاقه وسرعة بديهته ولطف جواره.

قادت سيارتها مسرعة ربما استطاعت أن تسابق الوقت، وتكون في الموعد المناسب، زحام أول يوم قيدها، فدلفت نحو

بوابة المدرسة، وهي تحيي الأمن من خلف نظارتها السوداء.

ياااا....، لقد بدأ طابور الصباح، فأسرعت الخطى لتقف مع تلاميذها، تسمرت قدماها...اسمه تردد في الإذاعة المدرسية، سليم محمد علي... الأول على المدرسة، الطالب المثالي للعام الماضي.

ما أن وطأت أرض الطابور، حتى تدافعت صفوف الأطفال تعانقها وتقبلها، فهم أصدقاء ابنها الوحيد، تعرفهم جميعهم كل على حدة.

تردد الاسم ثانية... سليم محمد علي... الأول على المدرسة والطالب المثالي للعام الماضي.

بحثت بعينيها سريعا...فوجدته...دامع العين، منكسر الرأس، يحاول أن يتمالك نفسه، أسرعت إليه، واحتضنته قويًا، وكأنها تفرغ طاقة الفقد فيه، (أحمد) رفيق سليم وتوءمه الروحي، ونيسه ونديمه منذ أن كانا في الحضانة.

هيا اذهب لتستلم شهادة سليم.

أنا؟!

ابتسمت له قائلة:

ألم تخبر سليم يوما بأنكما شخصًا واحدًا، هيا اذهب سريعا، فاليوم هو تكريم توأمك.

انطلق بكل قوته وهو البطل الصغير في الجمباز، فقد

صاحبه في إحدى التدريبات الصعبة بعد أن سقط سليم من على ارتفاع عالٍ، ولم يدرك أن سقطته ستكون مميتة.

أمسك أحمد بشهادة رفيقه والكل يصفق له بحرارة شديدة، ورمى نفسه في أحضانها وهي التي لم تتوقف عن البكاء منذ أن فقدت صغيرها.

ميت على قيد الحياة

جسد نحيل ينهشه الأرق وينخره التعب، وتقيده دوامات الحياة، ركلت (نبيلة) أوجاع الليالي السابقة وقامت مسرعة توقظ الصغار للمدرسة، وها هو زوجها (محمد) طريح الفراش، بعد أن دمر الورم قدرته على الحراك، صار جسدًا ميتًا بقلب نابض وعينين زائغتين ولسانًا لا يكف عن التذمر.

حضَّرت إفطارًا لزوجها قبل أن تذهب لعملها، اعتادت على ذلك بعد ذاك اليوم المشؤوم.

منذ أكثر من سنتين، سقط محمد مغشيا عليه وحملته الكفوف إلى المستشفى، بعد دوامات الفحوصات والتحاليل، تبين أن ورمًا قد انتشر في المخ، ولابد من استئصاله، ولكنه سيقضي حياته عاجزًا، حتى مراكز السمع والكلام ربما تتأثر بتلك العملية بحسب أقوال الأطباء.

قلّت الكفوف التي حملته يومًا، بعد أن طالت رحلة العلاج، بين معاهد السمع والكلام والعلاج الطبيعي، وصارت هي السند والوطن الذي تحتمي فيه أسرتها الصغيرة.

سجدت شكرا لله أن زوجها استعاد قدرته على النطق والسمع بطريقة شبه طبيعية، ولكنه سيقضي حياته على كرسي متحرك وهو ما زال في الخامسة والأربعين.

هو من كان يطوي الأرض شرقًا وغربًا بحيويته وفحولته، يشيد الكل بقوته وبإسرافه في العمل.

مرت الليالي طويلة وكئيبة وهو يئن حسرة على شبابه الذي ضاع بين أربع عجلات متحركة، صراخه يقطع سكون وحدته، كم من أثاث حطمه؛ ليفرغ نوبات الغضب داخله، بينما زوجته في العمل ليلًا أو نهارًا، والأبناء بين

مدارسهم ودروسهم وانشغالهم الدائم.

لِمَ عليه أن يحيا أيامه الباقية على هذه الخردة اللعينة، ولِمَ وجب على زوجته أن تقاتل الساعات والأيام؛ لتقتنص لقمة العيش؛ وتسد بها رمق الأبناء، لم عليه أن يتحمل كل هذا؟!

تجاوزت الساعة العاشرة مساءً، ولقد اعتاد الأبناء الذهاب لبيت الجدة حتى انتهاء الأم من العمل، ولكن لا بأس أن يقضوا ليلتهم هناك، وخاصة أن غدًا هو يوم إجازتهم الأسبوعية.

أسرعت (نبيلة) لزوجها، فلا بد أنه جائع الآن، برغم أنها تعد كل الوجبات له قبل نزولها للعمل؛ مرت بأحد مطاعم الوجبات السريعة، أحضرت وجبته المفضلة ساخنة، تنهدت وهي تستلم الطعام وتذكرت أيام زواجهما الأولى الرائعة؛ طيور العشق سكنت أعشاش حياتهما.

أسرعت الخطى، وفتحت باب الشقة، ونادت عليه بنبرة اشتياق:

محمد..

اتجهت لحجرته وابتسامة حنين تعلو وجهها، وما أن دلفت لداخل الحجرة، حتى تسمرت قدماها، وجحظت عيناها،

وأسقطت أكياس الطعام أرضًا، حاولت الصراخ، تستنجد بأحد، ولكن أحبالها الصوتية قد تمزقت، وكأن خناجر الأوجاع شقت حنجرتها.

هوت بجسدها بجوار زوجها ولطخت وجهها بدمائه الجارية، انطلقت صرخة مدوية حطمت كل سنوات العجز والقهر، لحظات الذل للقريب والغريب، ونحيب شق هدوء الليل، رافضًا غياب من ملك الروح والجسد.

أعانكم الله

كانت فرحة كبرى حينما أنهيت سنوات دراستي الجامعية بتفوق، وكنت الأول على دفعتي، برغم أن تلك الكلية لم تكن حلمي المنشود، ولكن مجموعي هو الذي أجبرني على دخولها، فحظي العاثر الذي حل بي ليلة امتحان الثانوية العامة، هو

الذي ساقني إلى تأدية الامتحانات داخل إحدى المستشفيات إثر عملية جراحية ضرورية.

«لعله خير» هكذا كنت أحدث نفسي دائمًا، وربما ستمن عليّ الأقدار بفيض من الخيرات.

حَلَمَ أبي بتعييني في الجامعة، فأنا الأول دراسيًا، ولي الحق بتلك الوظيفة، ولكن يبدو أن التفوق الأكاديمي له حسابات

أخرى في بلدي، وأصحاب النفوذ ولو كانوا دون المستوى الدراسي، فلهم الحقوق دائمًا.

لابد أن تطالب بحقك يا ولدي.

أخبرني أبي يومها، وتقاسيم العجز قد حلت على ملامحه بعدما عرف ذاك الخبر.

أبي الذي انحنى ظهره ما بين عمله الرسمي كموظف حكومي صباحًا، والآخر مساءً كموظف حسابات في إحدى المحلات بمنطقتنا، حتى يوفر لنا حياة بين أكوام الظلم التي نراها يوميًا.

ولولا ضغط أبي المتواصل ما كنت تحركت ولو بقيد أنملة؛ لأطالب بحقي الوظيفي، مرت الأيام والشهور ثقيلة تجر خيباتها، وأنا عديم الفائدة بلا عمل، أنتظر أن أحقق حلم أبي

الواهم.

هل ما زلت مصممًا على السفر يا ولدي؟!

نطقها أبي بنكهة القهر والأسى وهو يغالب دموعه، لا مفر

من السفر

يا أبي، الانتظار لاسترداد الحق المسلوب هو موت على قيد حياة باطلة، دعني أحقق أحلامنا في عيشة سوية، وزواج مشرف لإخوتي، وانتزعك من طاحونة البؤس التي لحقت بنا منذ زمن طويل.

***

مبارك عليك التعيين في الجامعة يا ولدي، يجب أن **تترك** كل شيء عندك وتأتي مسرعًا تحقق حلمنا.

تراقصت الحروف على لسان أبي، وهو يبلغني تلك الرسالة هاتفيًا، أ لا تعلم يا أبي أنني حققت استقرارًا في الغربة وتقدمًا في عملي، وطوال الأربع سنوات الماضية اجتهدت؛

لأوفر لك ولإخوتي الحياة اللائقة، هل سأترك كل هذا من أجل وظيفة بالية بجنيهات هزيلة؟!

«لعله خير» هكذا أحدث نفسي دائمًا أمام أي أمر؛ تجهزت للرحيل
وعدت أدراجي لبلدي حتى أحقق حلم أبي؛ فهو من أنفق في

سبيل سعادتنا ما في وسعه، حتى بعد رحيل أمي، ربط على قلبه، وأسرف الود في تربيتنا، وصارت أحلامه كلها أوامر.

***

لا تتأخر يا ولدي، فسأطهو لك طعامك المفضل، وكل إخوتك بانتظارك.

إنها الساعة التاسعة صباحا يا أبي، وما زال طعام الإفطار في حلقي طيبًا لذيذًا، فمنذ أن عدت من الخارج وأنت تتفنن في تقديم فروض الحب والحنان، حسنًا.... يا أبي، إنه اليوم

الأخير في إنجاز كل الإجراءات، وقريبًا سأتولى مهام وظيفتي الجديدة، معيد في كلية الزراعة، وسأسابق الزمن في الحصول

على الماجستير والدكتوراه، حتى تتباهى بابنك، وتصبح أنت أبو الدكتور.

***

لعله خير يا أبي؛ أخبرته ذات ليلة، حينما زرته في منامه بعد مرور شهر على رحيلي.

لا تحزن يا حبة القلب ولا تلق اللوم عليك، فإنها أقدار كتبها لنا الله، ولا نملك لردعها شيئًا، وصدقني، لقد كان موتي سريعًا لا ألم فيه، بعد أن وصلت محطة القطار، سمعت صوت انفجارات وحريق هائل، طالتني النيران من كل جانب، وفي أقل من ثوانٍ معدودة فقدت الإحساس وكل خيوط الحياة.

أُدرك جيدًا كم آلمك منظري وأنا متفحم، وأنت لا تستطيع لمسي أو تقبيلي، شعرت بثقل دموعك المُرة وهي تتساقط على جثماني، سمعت نحيبك المتعالي وأنت تلعن اليوم الذي تركتُ عملي بالخارج من أجل تحقيق حلمك، أحسست بكل غصة باتت في حلقك وأنت تروي للحاضرين قصة تفوقي وحُسن أخلاقي، وزهرة شبابي التي قُطفت مبكرًا في أرض كان المفترض أن ترويها أملًا وفخرًا للأبد.

لا عليك يا أبي، امسح دموعك من أجلي، فلكل أجل كتاب، فأنا الآن في نعيم يغبطني عليه الكثيرون، فقط اعتن بنفسك وإخوتي، لكم الله على هذه الحياة.

كرم القدير

استندت على والدتها وهي تجر أقدامها جرًا، الألم قد فاق حد التحمل، وأصبحت أمنيتها الوحيدة أن تقضي حاجاتها دون مساعدة.

ها هو الطبيب الثالث يعلن نفس النتيجة، انزلاق غضروفي حاد في الفقرات القطنية، يستلزم تدخل جراحي وفوري.

رن جرس جوالها، فإذا برقم غريب، وتتفاجأ بصديقة أبعدتها مشاغل الحياة عنها، بعد تبادل التحايا ومعرفة آخر الأخبار، توصي لها بزيارة طبيب مخضرم في منطقة وسط

البلد، ربما يكون الشفاء على يديه.

أخبرت زوجها، فحملها بسيارته لعيادة الطبيب، عيادة من الطراز القديم، وطبيب كأنه من أفلام الستينات، كشف على (هبة) وفحص موضع الألم، وأخبرها بعد تنهيدة طويلة:

ألديك المقدرة على الاستلقاء لمدة شهرين متتابعين، دون أي حركة، وتناول الدواء في مواعيده بدقة؟

هزت رأسها موافقة على مضض، فهي لا تريد الدخول في عمليات جراحية ربما تفشل وربما تكون لها آثارها الجانبية.

يعلم الله وحده كم عانت طوال هذه المدة، كمية تكفي لفتح مخزن دواء من كثرة الأدوية التي دخلت جسدها، وكم من وخز الإبر تحملته، وذاك الرباط اللعين ذو الأعمدة الحديدية الذي يلف ظهرها؛ أوصاها الطبيب ألا تفارق حزامها الطبي.

زوجها لا حول له ولا قوة، فقد أخذ على عاتقه مسؤولية رعاية الطفلين الصغيرين، ويكفي أن والدتها قد تفرغت لرعايتها.

مرت الأيام ثقيلة ولاحت بوادر الشفاء في الأفق، وها هي تخطو وحدها بضع خطوات دون مساندة، ولكن ما هذا الإحساس بالدوار وثقل الرأس؟! هل هو الدواء أم الحركة، أم...

لله الأمر من قبل ومن بعد.

قالتها (هبة) لطبيبة أمراض النساء وتساءلت في دهشة:

كيف حدث هذا الحمل، برغم كافة الموانع، وكيف أحمل وأنا أتناول كل تلك الأدوية؟! وهل سيكون الجنين مشوهًا؟ وهل...

قاطعتها الطبيبة مهدئة من روعها:

لو كان خيرًا سيبقى، ولو كان شرًا سينصرف، دعي الأمور للخالق.

مرت شهور الحمل على غير توقع، سهولة في الحركة وكأن لا جنين ينمو في الأحشاء، وحانت لحظة الولادة، والكل يترقب قدوم هذا الجنين المسكين، الذي حتمًا ستلحقه آثار

العلاج الجانبية لفترة طويلة.

نظر طبيب العظام المخضرم إلى المولود، تحتضنه بين ذراعيها، ثم إلى صورة الأشعة وابتسامة رضا ارتسمت على شفتيه:

أولا: مبارك عليك طفلك الجميل هذا، ثانيا: إنه من لطف الرحيم أن ابتلاك بالغضروف، وبرغم تصريحات بعض الأطباء بعمل الجراحة، إلا أنك رفضتي هذه الفكرة، وسبحان من وهبك الحمل على غير توقع؛ ليكون ضغط الجنين على العمود الفقري أثناء الحمل هو السبب في رجوع الغضروف لوضعه الطبيعي، وهذه من الحالات الطبية النادرة الحدوث.

عقدت حاجبيها في اندهاش:

هل تعنى بهذا أنني شفيت من الغضروف؟!

ابتسم الطبيب قائلًا:

إنه الكريم يا بنتي، ابتلاك ثم أكرمك؛ فقط لأنكِ احتسبتِ وصبرتِ.

وما زلتُ أتساءل عن سر عشقي لهذا الكائن الذي ملأ الحياة حبًا وضجيجًا ومشاكسة لإخوانه الكبار؟! فكان حسن الاسم والصفة والحال مع كل من يعرفه.

ثمرة الهنا

أدركت منذ الأيام الأولى أنها مختلفة عن الآخرين، صمتها المطبق، وحدتها المخيفة، تلعثمها المفرط، أمر جعلها تحت منظار مراقبتي، عدم قدرتها على قراءة الجمل البسيطة وهي في الصف الأول الابتدائي، بالرغم من تكرار العبارات أمامها إلا أن حائلًا ما وقف أمام استيعابها.

(هنا) طفلة جميلة، بضفائر طويلة، وعينين باهتتين، تفيضان حزنًا.

هاتفتُ أسرتها لأعرف أسباب مشكلتها وتأخرها الدراسي، فوجئت
بعدم الاكتراث ونسبتهم الأمر لغباء الطفلة.

أعددت تقريرًا أكاديميًا، وصفتُ فيه نقاط ضعفها وقوتها، خاطبتُ طبيبة متخصصة في علم نفس الطفل، فشخصت الحالة بأنها صعوبات بالغة في القراءة وضعف في التركيز.

شجعتُها لإتمام جلسات العلاج، بكثير من الود وقليل من الحزم.

بدأتُ معها رحلة حب طويلة امتدت لسنوات عديدة، وأجبرتُ الأسرة على متابعة الحالة لتحقيق الهدف، وإعادة الثقة لطفلة مسكينة افترستها نظرات المجتمع، وإزالة وصمة التخلف التي لاحقتها.

هيا يا معلمتي، فتلك الصورة ستكون رائعة معك.

أمسكت بيدي، وشعرتُ بدفء أصابعها، وهي تجذبني بلطف.

بدت في ثوب التخرج كعروس متأنقة، وهي تحصد سنوات تعليمها وتقطف ثمار كفاحها ضد خرافات الناس ونظراتهم المتعفنة.

عيناها بدت اليوم لامعتين، والضحكة شقت طريقها عبر ثغرها الوردي، ونظرات الفخر أصبحت تتابعها أينما تكون على مسرح الجامعة؛ الطالبة المثالية في كلية العلوم والمتفوقة على مدار سنواتها الجامعية.

احتضنتُ غاليتي؛ طبعت قبلة على خدي، فكانت تلك صورة العمر، لخصت كل تعب الحياة، تصف الطريق للحصول على ثمرة الهنا.

طاحونة الحياة

وفاء تلك الموظفة التي تجاهد بكل طاقاتها؛ لتحافظ على أبسط أشكال الحياة لأسرتها.

تطحنها الأيام ما بين عملها صباحًا ومساءً، وواجبات المنزل التي لا تنتهي بين طفلين وزوج كادح يصارع الحياة؛ ليسد رمق وحوش الأيام الجائعة، وكأنهم في سباق لا ينتهي.

ألقت الظروف أعباءها على الجميع حتى الصغار، فاشتدت أعوادهم ونضجت أعمارهم، وأصابت ملامحهم الشيخوخة قبل

الأوان، حتى كادت أن تنسى أنهم أطفال يحتاجون حنانًا ودفئًا.

أمي، سأبدأ امتحانات نهاية العام الأسبوع القادم.

قالها الصغير الذي لم يتجاوز عمره الثانية عشر:

لا تقلقي، فأنا مستعد جيدًا للامتحانات، فقط أحتاج منك أن تراجعي معي معلوماتي.

ربتت الأم على كتف صغيرها، وأومأت برأسها موافقةً، تدرك ضيق وقتها وحجم مسئوليتها، ولكن لابد أن تكون مع صغيرها هذه الأيام.

أذهلها اجتهاد الصغير وإتقانه في الإجابات، وإبداعه المتقد في كل المواد، فكافأته الأم بأن يبات معها في فراشها كل ليلة، حتى تنتهي فترة الامتحانات، فتمنحه بعض من الدعم النفسي.

لم يصدقها الصغير، وما أن افترش ذراعيها وتدفأ بحضنها، نهل من أبار الحب ما روى به حنينه الطفولي.

مرت أيام الامتحانات سريعًا، وبذل الصغير جهدًا طيبًا؛

سعدت أمه سعادةً غامرة، ومنحته مصروفًا إضافيا؛ ليتنزه مع أصحابه، بادرها بملامح حزينة وأخبرها وهو يضع النقود في جيبه:

بقدر فرحتي بانتهاء الامتحانات بقدر حزني الشديد، لأني سأبتعد عن حضنك الدافئ، ألا ليت العام كله امتحانات حتى لا أفارقك البتة.

عاجلته أمه بحضن كبير، وهي تلعن في قرارة نفسها طاحونة الحياة، التي انتزعت منها عواطفها، وأجبرتها على ارتداء ثوب العُجالة دائمًا.

حصاد العمر

كان ليلًا باردًا، لم تسعفها كل تلك الأغطية على بث الدفء في أوصالها، وهي السيدة العجوز التي تجاوز عمرها السبعين، ارتعشت بشدة، وصوت زفيرها المحشرج يعلو صوت الراقدين بجوارها.

لا تدري أ بسبب ذاك الصقيع الذي ضرب أرجاء البلاد، أم لأن الشهور مرت دون اتصال منه؟! تتذكر تلك الليلة التي أتى بها ولدها، بعد أن عانت مرارة العيش مع زوجته، التصادم هو اللغة المشتركة بينهما، والخاسر الوحيد هو فلذة كبدها.

سنوات طويلة عكفت على تربيته بعد أن حملت لقب أرملة، تجاوزت مرحلة الأحزان بسرعة، وشمرت عن ساعديها، وصار وحيدها هو أنيسها وسندها في الحياة.

أسرفت في محبته وأفنت ربيع عمرها، وحينما حان وقت الحصاد، وهبته كل ما تملك كي يحيا سعيدًا مع من اختارها قلبه.

تلك الجدران التي شهدت رحلة شقائها، لم تبخل بها، منحته الجزء الأكبر؛ ليعيش فيه مع حبيبته، واكتفت بحجرة صغيرة منزوية تمارس فيها فتات حياتها.

ولكن الأمر ليس دائمًا كما يتمناه المرء، بعد فترة وجيزة تبدلت الأحوال، غرقت الأسرة في مشادات المد والجزر طويلًا.

توصلت إلى الحل، عرضت عليه أن تعيش ما تبقى من عمرها في دار للمسنين، ستكون بأمان وسط أفرادٍ يحملون نفس الطباع، ويتشاركون نفس الاهتمامات.

رفض ولدها كثيرًا، قال والدموع تغالبه:

كيف لي أن استغنى عنك هكذا وأنتِ الحياة يا أمي!

مسحت على وجنتيه، وقالت:

سأكون بخير، ما دمت أنت بخير يا حبيبي، فقط داوم على السؤال.

البدايات دائمًا جيدة، ولكن الانشغال بدوامات الحياة تجبرنا على التخلي أحيانا، فصار الاتصال شحيحًا حتى انعدم، ثلاثة شهور مرت دون اتصال منه، حتى محاولاتها للاطمئنان عليه باءت بالفشل، وكأن حصاد حبها له كان علقمًا في جوفها.

تحاملت على نفسها، وأخذت هاتفها؛ وأرسلت رسالة أخيرة لولدها:

"حينما تحملت الحياة كنت معي، والآن لا قوة لي لتحمل المزيد دونك، فسامحني يا ولدي إن قصرت يومًا معك، أو أثقلت عليك بأمري، فيومًا ما ستدرك مدى احتياج الأرض لمطر السماء».

أتى الصباح ولكنه كان حزينًا بنكهة الوجع، أسرع لرؤية

أمه، ولكن القدر لم يمهله فرصة لطلب العفو منها، أو تقبيل يديها فلاحقته أبواق الندم طوال عمره، وغُرست أشواك الصبار في روحه.

شموع الميلاد

تطفئ (زينب) شموعها الخمس والثلاثين، وحيدة، باكية، توفى والديها منذ وقت ليس بقصير، وتخلى عنها إخوتها؛ ما بين مسافر ومشغول وزاهد عن الاتصال.

أخذت تنظر إلى هاتفها، لعل أحدهم يرسل لها بتهنئة أو يسأل عن أحوالها، ولكن الهاتف قد أعلن وفاته في هذا اليوم،

وكأن لا أحد يهتم لأمرها.

حتى قالب الحلوى ليس له مذاق، وهي التي تعشق

الشوكولاتة، ولكن يبدو أن مرارة الوحدة قد تغلبت على كل نكهات السعادة.

أعادت قالب الحلوى للثلاجة، فالأمر ليس بتلك الأهمية للاحتفال بخمسة وثلاثين عامًا اقتصرت على عدة شهادات ما بين جامعية وتقديرية وتشجيعية، ومراكز مرموقة في عدة مناصب مختلفة.

أكان عليّ أن أوافق على ذاك العريس المُطلق، الذي تجاوز الخمسين، الذي كانت عيناه تلتهماني عند أول مقابلة لنا؟! أو كان عليّ الموافقة على ذاك الشاب العشريني الذي سألني في أول مقابلة هل ما زالت فرصتك للإنجاب قائمة؟! أم أن القدر يعاقبني على ذاك الشاب الذي أصر على أن أقيم مع أسرته، وأشارك براتبي حتى تتحسن أحواله؟ ورفضته بعد أن رأيت منه إصرارًا رهيبًا على التخلي عن كل مصادر دخلي له.

استرجعت كل تلك الذكريات وهي تُطلق تنهيدة موجعة.

دموع عيد الميلاد ساخنة جدًا ومؤلمة...

هكذا همست لنفسها وهي تمسح عينيها، فُرصها في حياة زوجية سعيدة معدومة، لم تطلب عريسًا ثريًا أو وسيمًا،

تلخصت أحلامها فقط في رجل بمعنى الكلمة، يكفيها معنويًا وعاطفيًا، يوفر لها حياة مقبولة، يشعرها أنّ الإنسانية ما زالت متوفرة بين النفوس، ولكن يبدو أن ذلك المصطلح قد اندثر وضاع مع أمواج الحياة وعواصف القدر.

أيكون حلمي مستحيلًا في العثور على قلب يتوافق معي؟!

يلقي
بظلاله علي، يروي جدب مشاعري، ويهذب أغصان لهفتي!
هل كاد هذا الحلم أن يتوه مني بين تيارات الحياة، ونجاحات العلم والعمل؟!

وقفت تبحث عن أغنيتها المفضلة، وأحضرت قالب الحلوى مرة أخرى، عدّلت من هندامها، فاليوم هو عيد ميلادها، ولابد من الاحتفال، ونسيان أمر الهموم.

وحين أطفأت شموعها بزفير أوجاعها، تمنت أمنية الميلاد قائلة:

عسى الله يرزقني الخير، ولو بعد حين.

حسابات خاطئة

شقت السعادة طريقها نحو وجه ذاك الرجل الذي أوشك أن

يتم الستين، وهو يعبر بوابة المطار وصولًا لأرض الوطن، سنوات عديدة في الغربة لم يعد يحصيها، غربة نهشت ربيع سنواته، وحصدت أجمل أيام شبابه، كان يزور أسرته شهرًا كل عام، يغرقهم هدايا ورحلات، ثم يعود لطاحونة العمل، لا يكل ولا يمل، يرسل حصيلة عمله لأسرته، فهو يعلم كم هي قاسية الحياة، فأخطبوط الغلاء قد افترس الأخضر واليابس، ولديه أبناء في كليات مرموقة بإحدى الجامعات الخاصة،

ولزامًا عليه، أن يضاعف ساعات عمله دون كلل، ويبدو أن رحلة مسؤولياته قد أوشكت على الانتهاء، وأخيرًا سينعم ببعض الراحة مع زوجته وأولاده.

لقد جهز كل شيء، وأنهى كل أوراقه للاستقرار الدائم مع أسرته، فالروح باتت مرهقة والجسد قد تسللت إليه تجاعيد الشيخوخة، فليحاول اقتناص فرصة للحياة حتى وإن جاءت متأخرة.

دفع بعربة الحقائب أمامه وأخرج هاتفه المحمول، لم يبلغ زوجته بخبر عودته، أراد أن تكون مفاجأة سارة لها، ولكن لا بأس في إخبارهم الآن:

حبيبتي أنا هنا، عدت إليك لقد أنهيت كل شيء هناك، ساعات قليلة وسأكون بينكم، اشتقت إليكم كثيرًا.

صمت رهيب احتوى المكالمة، وحروف ثقيلة مبعثرة نطقتها زوجته:

عدت؟! كيف ذلك؟ هل طُردت من العمل، أم قدمتاستقالتك؟ كيف تأخذ قرارًا مصيريًا كهذا دن الرجوع إليّ؟!

قاطعها بحدة:

ظننت أن هذا الخبر سيعجبك، وأنه آن الأوان لجمع شملنا واستعادة حياتنا الضائعة و.

ردت عليه بعصبية مقاطعة:

أي حياة تلك التي تتحدث عنها؟! حياة الشهر من كل عام؟! هل تعلم كم ضحيت بشبابي وأنوثتي من أجل تربية الأبناء؟ هل تعلم كم عانيت في غيابك؟! وأنا أمارس دور الأب والأم معًا، هل تعلم شيئًا عن أبنائك؟! ماذا يحبون وماذا يكرهون؟ عد يا عزيزي واستعطف صاحب العمل لتعود، أبناؤك على وشك الارتباط والزواج، وأنت تعلم كم هي مكلفة الحياة.

تمتم الرجل وهو يحاول استعادة الحوار لصالحه:

لا تشغلي بالك فهناك أموال في البنك وأرض البلد وعمارتين في...

قاطعته بحدة:

وجودك بيننا لن يمطرنا أموالًا، وإذا كنت تحلم بإعادة

رفات حياتك المنتهية، فأنت مخطئ، لقد اعتدنا الحياة دونك، عد لعملك
ولا تفكر بالعودة مطلقًا إلا بعد أن تنهي كل مسؤولياتك كاملة، وقتها ربما نفكر معًا في إحياء جثث حياتنا.

تميد الأرض تحت قدميه، كاد أن يسقط لولا أن تمالك نفسه، أسرع يجر ساقيه نحو أقرب مقعد، وشريط من الذكريات قفز أمامه سريعًا، خمسة وعشرون عامًا خارج البلاد، يدخر الأموال من أجل اسرته، فهل تكون تلك مكافأته؟! نكران للجميل وخذلان لسنوات طويلة من الحرمان، هل كنت فعلا مخطئًا حينما تناسيت أموري وانخرطت في دوامة العمل؟ غير مكترث للأمراض التي استوطنت جسدي، والأوجاع التي حلت بروحي، تسربت سنوات شبابي وتساقطت أوراق رجولتي، وأنا أشق الطريق وأعافر الظروف من أجل توفير مستوى لائق من الحياة لأسرتي، وتناسيت أني إنسان لي احتياجات ومشاعر..

فك أزرار قميصه محاولًا أن يلتقط أنفاسه المتقطعة، لعله يزيح تلك الصخرة التي ألقتها زوجته في تلك المكالمة من على صدره، تملكه إحساس الحسرة ودموعه انطلقت، وضيق التنفس قد اشتد حول رقبته، كلما حاول أن يفك طوقه اشتد عليه أكثر، حاول أن يستنجد بأي أحد، لكن الكلمات حُبِست بحلقه، والعبارات تحجرت، حاول أن يتفوه بأي كلمة، ولكن كل الكلمات ضاعت في محاولات فاشلة منه، يبدو أن شموع عمره سوف تنطفئ اليوم وأن رحلة حياته أصابها الفناء.

هوى ذاك الجسد للأبد، واستقبل حياة السكينة التي حلم بها ولكن في العالم الآخر.

موعد مع الحياة

وقف رجل خمسيني، هزيل البنية، يغالب بياض شعره سواده، أمام قبر زوجته، وهو يضع زهور الفل التي كانت تعشقها.

رسم الزمن على وجهه لوحة فنية متقنة من التجاعيد أظهرته وكأنه تجاوز الثمانين، بعد أن انتهى من قراءة الفاتحة وبعض الأدعية، سمع صوتًا يقول:

قلقت عليك أستاذي، فأنت لم تأت الأسبوع الماضي، وقد عهدناك دائم المجيء منذ أن رحلت السيدة.

التفت فرأى حارس المقبرة، رد عليه:

كنت مريضًا بعض الشيء، فأنت تعلم أني مريض بالقلب منذ أن فارقتني روحي.

تساقطت عَبرات ساخنة، فانسحب حارس القبر في هدوء، تاركًا ذكريات الرجل تصارعه.

عشرون عامًا قضاها وهو يعارك الحياة بأحداثها بمفرده، مبتور القلب، منزوع الروح، شارد الفكر، فقد الحبيبة والصديقة والشريكة.

نجمته التي تخيرها لتزين سماء وحدته، وردته التي غرسها في أرضه الجرداء، فطرحت له ولدين من أبهى خلق الله.

تمتم قائلًا:

اعذريني حبيبتي، لم أتمكن من زيارتك الجمعة الماضية، تمكن مني المرض، ويبدو أن مخالبه تضرب بشدة في جسدي، ولكني

لا أستطيع أن أغيب عنك طويلًا، تحاملت على نفسي لآتيك.

جلس بجوار قبر زوجته وأخذ يمسح بيده عليه، ثم تنهد بعمق قائلًا:

عشرون عامًا يا حبيبتي مرت عليّ ثقيلة كسيحة، أجر في أقدام الأيام،
وأشد حبال الزمن شدًا؛ لأنهى مسؤوليات أحنت ظهري، كم كانت تلك السنوات مريرة كصبار علقم أُجبرت على تناوله يوميًا، وأنا أُمني نفسي بأن الصبار
سيأتي يومًا ولن أتناوله، لن أنسى مطلقًا ذاك اليوم الذى فقدتك فيه، كانت ليلة باردة ماطرة، وكأن السماء تبكي لوداعك، اشتدت عليك الحمى بلا سبب، طُفت بكِ على أبواب كل الأطباء، ولكن دون جدوى، واختطفك الموت مني خطفًا، فكانت أحلك ليلة في عمري خارت قواي، وارتسم الوجع أمامي طريقًا طويلًا موحلًا، فكيف لي أن استكمل دربًا لست فيه معي؟! كيف لي أن أمارس حياة كنت فيها كل الحياة؟! كيف يبتسم قلبي بعدما انتزع القدر قلبي؟!

مسح على القبر مرة أخرى وكأنه يملس على شعرها:

أحداث عديدة مرت عليّ، كلما أحسست بالوهن، جئتك لأبث لك همي، واسترجع حبي، فصار يوم الجمعة هو موعد غرامنا، أسرع إليك فيه، لأقص عليكِ أمور حياتنا، وكيف أن ولديك قد أنعم الله عليهما بالنجاح والتفوق، والكل يشهد بحسن أخلاقهما وتربيتهما، وكيف لا؟! والأصل طيب المسك يفوح الجميل منه للأبد.

فرت الدموع من عينيه وتشوشت رؤيته:

وها هما ولديك، أشتد ساعديهما، وتخرجا من الجامعة، ووجد كل منهما عملًا مناسبًا، ويستعدان للزواج، قرة عينيك يا حبيبتي، سيتزوجان وسيكون لنا أحفادًا إن شاء الله، وستظل قصة حبنا خالدة على ألسنتهم أبد العمر.

زفر زفرة قوية، وكأنه يرسل للعالم آخر وجع حبيس بقلبه، ثم قال وعيناه
تذرف دمعا:

أما آن الأوان يا حبيبتي أن تستقبليني بذراعيك الدافئتين،

أما آن الآوان أن أبدأ سعادتي معك برحيلي عن هذه الحياة المزعجة، لقد أديت رسالتي على أكمل وجه، وثابرت في سبيل مهمتي أشد مثابرة، أملا في أن ألقاكِ في نهاية المطاف؛ لنستكمل حياتنا التي انتهت سريعًا على أرض الحياة، فأنا في أشد اللهفة لأراك وأسكن بين أحضانك، وأشعل مصابيح وحدتي بجوارك، أظن أن الآوان قد حان يا عزيزتي، انتظريني، فموعد رحيلي عن هذه الضوضاء قد بات وشيكًا، فقط

استعدي وتزيني لحبيبك القادم.

لم ولن تتوقف دموع رجل، التحف قلبه بالسواد حدادًا على زوجة رآها كل الحياة حتى بعد أن فارقت هي الحياة.

أمل عاجز

ها هو الليل يطرح ثوبه الكئيب على أكتافي، وأنا أراقب نجومي الباهتة في سماء الأوجاع الشاسعة.

الساعة قد تجاوزت الثانية بعد منتصف الليل، والنوم هجرني كعادته، كيف تطرق الراحة أبوابي وأنا الذي تفر السكينة من أمامه دائمًا؟!

أخذت أدفع بكرسيّ المتحرك نحو آخر الشرفة لعلني أقطع الملل، سمعت سيارة إسعاف تسرع الخطى، تذكرت صوتها

العقيم وكأنها مطارق تدق في ساحات التغافل، كيف أنسى ما أطاح بحياتي لقارعة النهاية؟!

سيارة مجنونة قذفتني في الأجواء، فسقطت وسط بركة دماء أصارع القدر علّني أكسب دقائقًا إضافية، اختلطت أصوات صراخ المارة بصفير سيارة الإسعاف، ولا أدري كم من الوقت مرّ على وجودي بين جدران المستشفى القاتم؟!

أشباح المعاطف البيضاء تلوح لي من بعيد، وكأني في نفق طويل لا نهاية له ضعيف الإضاءة، شديد الحرارة، أحاول أن أصرخ، ولكن لا جدوى، وأخيرًا صارحني الأطباء بأن الحركة باتت مستحيلة، وأن مصيري سيؤول إلى ذلك الكرسي المعدني.

أفقت على ذكرياتي بمرور نسمة هواء باردة، وكأنها يد حانية هدأت من روعي، تنهدت بكل حسرة، أصبحت مجرد حطام شاب؛ انتهت أحلامه على كرسي وأصبحت تطاردني، نظرات مكتظة بالشفقة ودعوات بالشفاء تشق سماء المستحيل،

وانهارت أبنية طموحاتي، وبت لا أفرق بين صحوي ومنامي، ولماذا اتكبد العناء فالأيام كلها متشابهة؟!

وظيفتي في تلك الشركة المرموقة قد فقدتها، واكتفوا

برسالة شكر تقديرًا لجهودي المبذولة في فترة عملي بها، تبًا لهؤلاء الحمقى، لا يدركون أنني كنت مرغمًا على تلك الوظيفة المملة.

وحبيبة توهمتها يومًا شريكة العمر، أحلت رباط العهد بيننا، وآمال انتزعت جذورها عن أرض الأمنيات، ومراكب الهوى التي تحطمت أشرعتها وغرقت في بحور اليأس، وكأني تحولت لمسخ مصاب بالجزام يفر منه الجميع، وهمهمات تتعالى بين حشود البشر إذا ما حاولت أن أطلق عجلاتي نحو الحياة.

أصبحت عاجزًا عن الحب، عن الحياة، فهل انتهى دوري هكذا بهذه السرعة؟!

لكن الجسد ما زال يستنشق الحياة، وما زال القلب ينبض بالأمل، ربما تلك الحبيبة التى تخيلتها يومًا رفيقة العمر كانت ستسقيني كؤوس المر أعوامًا متلاحقة، وحتمًا لم تكن تلك الوظيفة البائسة هي أملي الكبير.

أسرعت أدفع بعجلاتي نحو الغرفة فالهواء قد زاد برودةً،

طاف بخيالي أهلي الذين ساندوني، وأصدقائي الذين لم يتخلوا عني، فرشاتي وألواني التي تركتها عمدًا بسبب الانشغال، ما زال هناك أمل في الحياة، ما زال هناك هواء يحتل رئتي، ما زالت حواسي تعمل بكفاءة، ومازال هناك وهناك.. وانطلق آذان الفجر:

الله أكبر... الله أكبر..

وكأنها رسالة اطمئنان لعاجز فقد كل الحياة، ولكنه لن يفقد الأمل ما دام مع الله.

خيانة العشرة

توافدت جموع من البشر إلى قاعة العزاء، نحيب تتعالى صيحاته وتتوالى على الأسماع، وآيات من الذكر الحكيم تجبر الجميع على الاستماع، وهناك في زاوية ضيقة، سيدة متشحة بالسواد، تجاوزت الستين بقليل، جميلة الملامح، وإن كانت تجاعيد العمر تشق وجهها، ملامح الحسرة احتلت مساحة واسعة فيه، وعيون جافة لا دموع فيها، بل علامات استنكار تطل منهما.

انحنت إحدى السيدات تواسيها قائلة:

البقية في حياتك يا حاجة، الله يرحمه، الحاج كان غالي علينا كلنا.

أومأت برأسها في سخرية وهي تتمتم:

غالي، كان يومًا غاليًا، عشرة عمر طويلة، قاربت على الخمسين عامًا، كان لي الزوج والحبيب والرفيق، رحلة بدأتها معه وأنا صغيرة لم أتجاوز الخامسة عشر من عمري، سبيل طويل جاهدت معه من أجل تحقيق النصر في بناء أسرة سعيدة، سحابات أفراح وأحزان مرت علينا، وكنت له نعم السند والونيس، سلسلة من التنازلات مارستها بحق نفسي؛ من أجل الحفاظ على هذا الصرح الذي أفنيت فيه عمرًا وصحةً وفكرًا.

فرغ الشيخ من تلاوة الربع الأول من القرآن، سارعت النساء لمواساتها، نظرت حولها، وجدت ثروتها: بناتها وزوجات أبنائها وأحفادها وهم يربتون على كتفها، عادت بها الذاكرة إلى ذلك اليوم؛ الذي ترك فيه البيت، وركل كل الانتصارات التي تحققت خلال رحلتهما في الحياة، ذهب

ليتزوج بأخرى أربعينية، رجل مسن قارب على عامه السبعين؛ قرر فجأة أنه لم يكن سعيدًا بحياته، وأنه تحمل فقط من أجل إنهاء المسؤوليات الإلزامية، وأنه قد آن الأوان ليهنأ

بسعادة ـ حتى وإن كانت قصيرة الأجل ـ.

أهكذا بكل بساطة، تُلقي بكل الاعتبارات في الوحل، غير مهتم بمصير رفيقة دربك التي ضحت بكل سبل راحتها من أجلك.

بدأ الشيخ في استكمال تلاوته، وساد صمت الحاضرين، إلا ضجيج أفكارها، الذي لم يصمت أبدًا، وأخذت تهمس لنفسها: "أهكذا يا رفيق دربي، لملمت حقائب ذكرياتنا، وغرست الصبار في حقولي لأحصده مرًا علقمًا، ما الذي ارتكبته حتى أقضي سنوات عمري الأخيرة دونك، وأنا التي اعتدت أن أكحل عيناي برؤيتك كل صباح، أن نتجاذب أطراف الأحاديث يوميًا، بين مزاح وجد، ألم تكن لي طفلي المدلل الذي أخشى غضبه؟! ألم تكن لي بئر أسراري ومستمعًا لحكاياتي، تتزوج

فجأة ولا تراعي فيّ شرعًا ولا دينًا، تتركني أقاوم تيارات الحياة لولا أبنائي؛ لمت كمدًا في صحاري الغربة".

أطلقت تنهيدة قوية بطعم الوجع، حتى كادت تشق ضلوعها، وأخذت تهمس لنفسها: «تتزوج وتتركني دون أي

سبب مقنع، سوى أن الملل قد طرح ثوبه على قلبك، وأن حماسة الشباب قد دبت فجأة بأوصالك، هل توهمت حقًا أن سراب الصحة قد أنبت الزهر في أرضك القاحلة؟!».

ها هي الشهور القليلة تثبت لك فداحة خطئك، فأصابتك لعنة الأمراض منذ أن لازمت عروسك، وفي ليلة باردة ألقت بك أمام باب دارنا لتبلغنا بكل وقاحة أنها لم تعد بحاجة إلى ركام رجل، ويكفيها ما نالته من أموال.

تسارع الأطباء لإنقاذك، ولكن الوجع النفسي كان أشد فتكًا بك من المرض الجسدي.

سامحيني يا رفيقة الدرب، أعلم بأني نزعت البهجة من

فؤادك، وأدميت روحك
بخيانة لن تُغتفر، ولكنه الشيطان قد زين لي سبيل المر عسلًا خالصًا ولم أدرك أنه سُم سرى في عروقي، سامحيني واغفري لي.

كانت تلك هي كلماته الأخيرة.

أنهى الشيخ تلاوة الربع الأخير، وإذا بشهقات دموع تنفجر من مقلتيها، ويزداد
صراخها:

لن أسامحك يا من كنت يومًا شمسًا تزين حياتي، وقمرًا يبدد ظلامي، لن أسامحك ما حييت، فجرحي لن تداويه الأيام أبدًا.

وخرجت تولول كالمجنونة لولا أن احتضنها أحد أبنائها، وبث الطمأنينة في أوصالها، ولكنها لن تغفر أبدًا.

صرخة زوجة

شق صراخها أركان المحكمة، حتى بدا للحاضرين كأنه استغاثة غريق يصارع أمواج بحارٍ في ليلة مظلمة.

(صفاء) سيدة ثلاثينية، أهلكها الحزن وأوقعها في براثن الشيخوخة المبكرة والهزال الشديد.

لا أريد الانفصال سيدي القاضي.

ألقت كلماتها على الحضور ثم ساد صمت رهيب أثقل القلوب، حتى كادت النبضات أن تتوقف.

لا أريد الانفصال سيدي القاضي، ليس عشقًا فيه أو تودًا له، ولكني مجبرة مثل عشرات غيري، فأنا مقيدة بسلاسل

مجتمع صلبة صدأة، التفت حول رقبتي وكلما حاولت التخلص بما تبقى لي من حياة، جذبتني لأسفل، فأشعر بعدها بالاختناق، ولا أملك سبيلا سوى الانصياع والخضوع.

مسحت قطرات العرق من على وجهها بطرف كمها وأكلمت:

لا أريد الانفصال سيدي القاضي، وهدم سجن الزوجية الذي تهدر فيه كرامتي وتغتال فيه أنوثتي؛ لأن أصابع التقاليد القذرة ستشير إلى متهمة بأني السبب في هذا الخراب، يا سيدي القاضي، إن ألسنة المجتمع ستلاحقني في كل مكان، وستنعتني بأقسى الألفاظ، وستطاردني لعنة الطلاق أينما كنت، وسأدفع ثمنها باهظًا حينما تحاصرني العيون، وتشتهيني النفوس في سراديب محرمة.

صمتت لحظات قصيرة، تمسح دموعها المتساقطة وتلتقط

أنفاسها المتلاحقة، ثم واصلت مشيرة إلى طفلين يقبعان في إحدى زوايا المحكمة:

ما ذنب هذين الطفلين أن يعيشا حياتهما بلا أب أو سند؟

وإن كان غائبًا، ولو كان وهمًا!! أنا مثل غيري من نساء

كثيرات؛ بلا مصدر أو دخل يكفيني مصاعب الحياة، بلا أسرة تستقبلني بحرارة، وتحنو عليّ وقت الكرب، فأنا يا سيدي من أسرة لا تؤمن بالطلاق، ولو كان علاجًا ضروريًا، ولو داهمتها أعاصير وبراكين؛ فالمرأة عندهم ما أن تزوجت لا تخرج سوى لقبرها، فليس لدى طوق للنجاة من بحار الظلم الذي أحيا فيه، ولا يوجد مخرجًا لمتاهة التخلف التى أعيش بها، فهل يا ترى توجد وسيلة لإزالة غشاء الجهل عن قلوبهم وأبصارهم؟

سيدي القاضي أنا أعلم جيدًا أن الاستمرار في هذه الزيجة ستقتلع كل جذور الثقة مني، وستحيل حياتي كلها لخريف دائم، وإن أيامي لن تعرف موعدًا للربيع مطلقًا، أدرك جيدا أن

الجحيم سوف يلتهم حطب أمنياتي، وسأنفخ في رماد أحلامي حتى لا أراها أمامي، ولكن هل لي حيلة غير ذلك؟!

حاولت جاهدة أن تأخذ نفسًا عميقًا:

غلبني القهر، وسخر الظلم مني، والوجع افترش روحي

بالسواد، أريد الموت في كنف رجل نجح بجدارة في تحويلي

لمسخ غير قادر على مواجهة الكل، جعلني بقايا امرأة لملمت ثوب كرامتها البالية، واحتضنت طفلين لا ذنب لهما سوى أن أمهما بلا أمان أسري أو مادي.

صرخت بكل قوة وألم:

أفضل الموت وأنا أتنفس حياة الذل مع إنسان لا ينتمي لفصيلة الرجال، على أن أتنفس الحرية ومخالب المجتمع تنهش جسدي.

تقدمت بخطوات مترنحة نحو القاضي وهي ترجوه قائلة:

أتوسل إليك سيدي القاضي، لا تجعلني أحمل لقب مطلقة، فليفعل هو ما يشاء، وليعش حياته كما يحلو له، فقط لا يحرمني من مصدر يعيلني أنا وأطفالي، ويمنعني سياط الأعراف والعادات الموجعة عنيّ.

صمتت، وخرست معها كل الألسنة، وغرقت الإنسانية في أوحال أشباه البشر، فرحمة يا أله بتلك القلوب المتهالكة التي لا سبيل لنصرتها سواك.

سنوات الحرمان

نظرات فاحصة بدأت تلتهم جسد تلك السيدة ذات الخمسين عامًا، وهي تمرق بسرعة بين أجساد الموظفين.

وقفت (هدى) أمام المدير وهو يتفحصها، وبدا وكأنه ينتزع عنها ثيابها، وقال ساخرًا:

ما السبب في إجازتك يا أستاذة؟

ردت باقتضاب شديد:

ظروف خاصة.

أضاف متهكمًا:

ألا يمكن لتلك الظروف أن تتأجل، فحاجة العمل لا تسمح بأي إجازات.

نظرت إليه بحدة وارتفعت نبرة صوتها:

إنها ظروف خاصة جدًا أستاذي الفاضل، من فضلك توقيعك على الإجازة فأنا في أمس الحاجة إليها.

أنهت إجراءات الإجازة وسط عيون فاحصة وألسنة ثرثارة، وعبارات بمليون علامة استفهام.

غادرت مسرعة محل عملها، قادت سيارتها لمنزلها وهي تستعيد شريط ذكرياتها،

خمسة وعشرون عامًا قضتها وهي تحمل لقب أرملة، واتخذت من الرهبنة طريقًا لها، رفضت العديد من فرص الزواج الملائمة لها، ووهبت شموع حياتها لابنتها الوحيدة، التي عانت مرارة اليتم، وهي ما زالت في الخامسة، فكانت لها الأب والأم.

وبرغم أن أوراق شبابها قد تساقطت، إلا أنها احتفظت

ببريق من الحياة، رشاقتها وملامحها ما زالا متمسكان بقطار الشباب.

تخرجت (سما) ابنتها الوحيدة، وتزوجت وسافرت مع زوجها للخارج، وأخذتها دوامة الحياة، وقلت مكالماتها ورسائلها، فها هي الأسابيع تمر سريعًا دون أن تروي لهفة أمها واشتياقها، وباتت الوحدة تلتهم حطب أيامها، وسنوات عمرها تتصاعد نحو الهاوية، والملل أخذ طريقه وسكن بين ساعاتها الطويلة، بالرغم من انشغالها بالوظيفة والعمل التطوعي، إلا أن فراغًا شمل كل جزيئات روحها، حتى وجدته في أحد اللقاءات الخيرية، رجل وافقت ظروفه ظروفها، أرمل أفنى عمره على أولاده، حتى استقل كل واحد بحياته، وبات الوصال بينه وبين أولاده أمرًا صعبًا.

التقت(هدى) و(خالد)... إحساس بالأمان فرض نفسه بعد هذا اللقاء، ورعب قوي من مواجهة هذا المجتمع العقيم، فكيف سيتقبل الأبناء زواج أبيهم من أرملة خمسينية وهو في هذا

العمر؟! وكيف سينظر المجتمع لهما، وهل سيُحِل لهما قطف

ثمرة الاحتياج في هذه المرحلة من عمرهما؟!

وصلت (هدى)البيت، واستقبلها زوجها بنظرات حب ورضا وتساءل:

هل أنهيت إجراءات إجازتك؟

أومأت برأسها بالإيجاب، ربت زوجها على كتفيها قائلا:

دعك من كل سخافات البشر، لا عليك بما قاله الأبناء عنا، أليس من حقنا أن نحيا ولو بعض وقت؟ لقد أتممنا واجباتنا كلها بصورة جيدة، فلنلتقط أنفاسنا، ودعينا نعتزل هؤلاء الحمقى، الذين يرون زواجنا أمرًا مخلًا بالأعراف.

ردت بصوت يملأه الحزن:

وهل سنعتزل الأبناء للأبد بعدما رفضوا زواجنا؟

هز رأسه بالنفي:

الأيام كفيلة بعودة الأمور لمسارها، هيا يا عزيزتي؛ لقد جهزت كل شيء، سوف نعوض سنوات الحرمان وسنتنقل من بلد لآخر في رحلة طويلة لعل الروح تسترجع شبابها.

ظلام دامس

مر الأسبوع الأول من زفافهما سريعًا، كعادة كل شيء مبهج، أخذت (مها) تتجمل أمام مرآتها لحين عودة زوجها، فقد وعدها (عمرو) أن يأتيها بقالب من كعك الشوكولاتة الذي تحبه، والمكسرات التي تعشقها، وفجأة انقطع التيار الكهربائي، وصار المنزل غارقًا في ظلام دامس، تذكرت أين وضعت هاتفها المحمول، وأنارت الكشاف، يبدو أن انقطاع الكهرباء سيستمر طويلًا، فنوافذ البيت تنبئ بأن كل المنازل مظلمة، توجهت نحو شرفة حجرتها وفتحتها لعل نسيم من هواء يفرج عن حرارة الطقس بعد توقف المرواح.

تحسست هاتفها ونظرت إلى الساعة، ما زالت التاسعة مساءً، ويبدو أن زوجها سيتأخر، أخبرها أنه سيزور والدته ويمنحها شيئًا من الحلويات التي سيشتريها.

أخذت تتأمل شرفة المنزل المواجهة لمنزلها، فإذا بها تلمح خيال سيدة، اقترب الخيال، حتى بدا واضحًا في ضوء القمر، امرأة في العقد الثالث من عمرها، ممتلئة الجسم، بياض بشرتها يشق ظلمة الليل ويعكس ضوء القمر.

اقتربت من حافة الشرفة برقة قائلة:

مساء الخير عزيزتي، يجب أن تعتادي على انقطاع الكهرباء، وخاصة في فترة الصيف.

مساء الخير، نعم سأعتاد.

هل أنت العروس الجديدة التي جاءت الأسبوع الماضي في موكب من الاحتفالات؟!

سألتها السيدة البدنية، تمتمت في خجل:

نعم.. أنا هي.

أنا (آمال) جارتك، أقيم هنا مع والديّ زوجي منذ أكثر من

عشر سنوات.

هل تقيمين معهم في نفس المنزل؟

لا.. إنهما يقيمان بالطابق الثالث، وأنا هنا بالطابق الرابع.

هل لديك أطفال يا عزيزتي؟

وفجأة.... عاد التيار الكهربائي، فانتبهت (مها) لاختفاء السيدة، فأخذت تنادي عليها، ولكنها لاحظت أن نوافذ الشقة بأكملها مفتوحة على مصراعيها، وأعشاش العنكبوت قد ملأت الأركان، حاولت تمد بصرها لعلها تستكشف شيئًا ولكنها فشلت.

اعتادت أن تتسامر مع السيدة البدنية كل ليلة وخاصة مع تكرار الانقطاع الكهربائي، وتعددت أحاديثهما حول الحياة، ولكن شيئًا لفت انتباهها، هي تلك النوافذ المفتوحة وتلك الستائر الممزقة التي تتطاير هنا وهناك، ولكن كل هذه الاسئلة صارت دفينة لا تقوى أن تصارح بها جارتها الغريبة؛ خوفًا على جرح مشاعرها.

«لابد أنه سيتأخر كعادته في العمل « حدثت (مها) نفسها، انقضى شهر العسل وعاد زوجها للعمل، وبدأ الملل يتسرب

ولا شيء يشغل فراغ العروس الجديدة.

"سأبتكر صنفًا جديدًا من الحلوى، ذاك النوع الذى رأيته في أحد برامج الطبخ»، قالتها وهي تتجه نحو المطبخ.

بدأت تجهز مقادير صنفها المبتكر، واكتشفت غياب بعض المكونات، سارعت للنزول للسوبر ماركت لتشتري ما نقص عندها.

مرت من أمام منزل جارتها الغريبة، لفت نظرها سيدة مسنة تتكئ على مقعد متهالك، حفرت الأحزان تجاعيد القهر على وجهه.

السلام عليكم يا حاجة.

رفعت المسنة عينيها وردت متنهدة:

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.. خيرًا يا ابنتي؟

من فضلك...هل (آمال) موجودة؟

آمال.. تقصدين من يا عزيزتي؟!

سألتها باستغراب وعينيها تتفحصها بدقة:

تلك التي تقيم بالدور الرابع.. هنا في هذا المنزل.

وأشارت إلى شرفة الدور الرابع.

تقصدين زوجة ابني الكبير؟!

قالتها بعد تنهيدة طويلة وهي تغالب دموعًا حبيسة، ثم اضافت قائلة:

الله يرحمها، ماتت من خمس سنوات.

فتحت(مها) فمها واتسعت مقلتيها، وانحبست الكلمات، وجدتها السيدة المسنة على هذا الحال فأكملت:

لقد كانت عروس جميلة يوم أن دخلت بيتنا، وكانت نعم الزوج، ولكن عدم إنجابها كان يضايقني، تمنيت كثيرًا أن أرى أحفادي، وتاهت هي وابني في رحلة علاج طويلة، تحملت العديد من العمليات والفحوص والأدوية، ولكنها مشيئة القدير، كنت شديدة القسوة معها، كثيرًا ما نعتها بالأرض البور، وكثيرًا ما اختلقت معها المشاكل، وكنت أشجع ابني

على الزواج بأخرى، ولكنه كان حائرًا، إلى أن جاء اليوم المشؤوم، أعلمها ابني برغبته في الزواج والإنجاب، حتى يسد أبواب الشفقة التي يراها في أعين المحيطين، ليته لم يخبرها، ظلت تصرخ وتصرخ وتحطم كل ما في طريقها من أثاث

بالمنزل، حتى ألقت نفسها من الشرفة بعد أن مزقت الستائر وماتت وسط عويل المارة وذهول زوجها.

تابعت السيدة العجوز حديثها وهي تمسح دموعها بمنديلها القماشي:

ومنذ ذلك اليوم وابني الوحيد في مستشفى للأمراض العصبية، وكل سكان العمارة تركوا شققهم لأن شبح (آمال) يزورهم من وقت لآخر، أما أنا فقد لزمت هذا الكرسي المتهالك، أرفض دخول شقتي، وقد لازمتني الأمراض، وأتمنى أن أرى شبحها وأطلب العفو منها، ولكن يبدو أنها لا تظهر سوى للطيبين.

انخرطت السيدة في دوامة من البكاء الهستيري، انتهيت من تسوقي بسرعة وعدت للبيت، متمنية أن ينقطع التيار

الكهربائي لأكمل حديثي مع (آمال).

وسواس التأنق

وجدها تجتهد للوصول لأعلى الخزانة بواسطة سلم حديدي، فوسواس النظافة هو داؤها الذي لا تبرأ منه مطلقًا، تنفق كل دقيقة فراغ وكل لحظة هدوء لتحويل المنزل لقطعة فنية من النظام.

تجول بعينين حائرتين في أرجاء المنزل، كل شبر فيه ينطق اهتمامًا، حوائط تجدد العهد مع مواثيق الطهارة، أثاثه يتحدى كل قواعد الترتيب الصارمة.

هلا اكتفيتِ بهذا القدر يا حبيبتي... إيمان؟!

قالها بنبرة يأس، وهو يدرك إجابتها مسبقًا:

مازالت هناك أمور لابد أن أكملها، ليبدو المنزل رائعًا.

أجابت بكل عفوية وهي تواصل عملها:

لِمَ كل هذا يا حبيبتي؟! أنتِ تهدرين صحتك كثيرًا.

بخيبة أمل بادرها القول، نظرت إليه باستهجان شديد، وكأنه ألحق ضررا في معاهدة النظافة الدولية التي تبرمها يوميًا دون انقطاع.

كيف تقول هذا يا إسلام؟! أليس من الرائع أن يكون منزلك أنيقا مرتبًا؛ كل جزء فيه يبعث على الراحة؟

لا.. ليس رائعًا إطلاقًا.. بل إنه من المؤسف إخبارك أن تلك المعارك اليومية ضد التلوث وجيوش الأتربة، لا تروقني، ولا تشبع حاجاتي، ولا تشعل الضوء داخل روحي المظلمة.

رد عليها بحدة مفرطة، جعلها تهبط من ذاك السلم الحديدي وهي في غاية الانزعاج، حاولت أن تدافع عن نفسها، ولكنه أسكتها قائلًا:

ما الفائدة التي أجنيها من غرفة شديدة التأنق، كاملة الترتيب، عطر الكمال يفوح منها؟ وأنتِ جسد متهالك يغرس

التعب مخالبة بكِ كل ليلة، مجرد ملامح تائهة لا أجيد فهمها، وأنتِ تهذين في أحلامك، تحاولين أن تخفي ألوان التعب الظاهرة في كل جزء منك.

أمسك بخصرها في دلال، وأخذ يراقصها قائلا:

صدقيني يا حبيبتي؛ قليل من العبث لن يضر بمنزلنا، فجموع الضيوف التي نستقبلها، ومواكب الجمهور التي تتزاحم على منزلنا لن يضرها شيئًا إذا تعثرت بقطع الفوضى.

ضحكت لسخريته اللاذعة، وقالت:

ولكن المنزل...

وضع يديه على شفتيها قائلا بحب:

زوجك يحتاج منك جزءًا من تلك المعارك الضارية التي

تحملين راياتها يوميًا على ساحات النظافة، فهلا تخليت عن لواء المنزل قليلًا، وتسلمت أعلام عشقي، لترفعيها على قمم اشتياقي وتلال احتياجي؟!

حب منتهي الصلاحية

أرسلت إليه عبر الواتس آب رسالة تبثه أشواقها وحنينها، وتطالبه بالعودة إليها سريعًا، ولكن يبدو عليه الانشغال فلم يجب على رسالتها، مر العام الأول رتيبًا مملًا وكأن عقارب الساعة ترفض التقدم.

سافر (سامح) لذلك البلد العربي، لعله يستطيع تدبير أمور المعيشة بعد الغلاء الكاسح الذي قضى على الأخضر واليابس، تاركًا زوجته (منال) وابنهما الوحيد (علي) ذا السبع أعوام بين

وحدة قاتلة، وغول الاحتياج ينهش في روح الزوجة الشابة.

مرت ساعة أخرى، ولم يرد سامح على رسالتها، حالة

من التأفف سيطرت عليها، قامت سريعًا أعدت حقيبة التمرين لابنها، وانطلقت لتحلق بموعد النادي.

علي.. علي.. لقد تأخرت اليوم، هيا أسرع.

نادى عليه كابتن (مصطفى)، شاب رياضي لم يكمل الثامنة والعشرين من عمره، استقبل(علي) بابتسامة تشجيع، ودخل مع فريقه للتدريب.

اخذت (منال) موقعًا جانبيًا تستطيع مراقبة ابنها وهو يمارس رياضة كرة اليد، أخرجت جهاز الموبيل لعلها تجد رسالة من زوجها يهدئ من لوعة اشتياقها، ولكن
الخيبة ارتسمت على ملامحها، فحاولت أن تشغل نفسها بمتابعة أخبار الأصدقاء على مواقع التواصل الاجتماعي، ولكنه الملل، وحش كاسر يسحب الروح من أجساد الأحياء، ويدب بمطارق الفراغ فوق رووس الضعفاء.

انتهى التدريب، ساعدت منال ابنها على تغيير ملابسه،

وحينما همّت في الانصراف، نادها الكابتن:

عفوا.. سيدتي ولكن (علي) ليس على ما يرام هذه الأيام.

ماذا به يا كابتن؟

تساءلت (منال) في قلق.

مستواه الرياضي في هبوط، وقد كنت أتوقع أن نجمه سيسطع قريبًا.

زفرت (منال) في حسرة:

حسنًا يا كابتن، في الحقيقة إن موضوع سفر والده وانشغاله الدائم وعدم اتصاله المستمر، أفقده بعضًا من التركيز، سأحاول أن أجد حلًا.

تركت المكان سريعًا وهي تغالب دموعها، عادت لبيتها، وأخذت ابنها في حضنها تعوضه بعضًا من حرمانه العاطفي.

***

بكاء هستيري، وأصوات الممرضين وهم يضعون الجسد الملطخ بالدماء على السرير المتنقل، وسرعة فائقة لدخول غرفة العمليات.

سقطت (منال)على أقرب كرسي، وهي تنتحب على ابنها

الوحيد، بعد أن دهسته السيارة وهو خارج من النادي دون أن ينتظر أمه.

ربت الكابتن على كتفها محاولًا تهدئتها، وهي منخرطة في بكاء مستمر، تدعو الله أن ينقذ ابنها من براثن الموت.

مرت ثلاثة أشهر وبدأ (علي) في التعافي، نجا من هذا الحادث بأعجوبة، وبدأ في جلسات العلاج الطبيعي لساقيه برفقة والدته والكابتن.

كيف حاله اليوم؟

جاء صوت زوجها عبر الهاتف الجوال وهو يحادثها.

الحمد لله، بدأ المشي بصورة أحسن.

أريد أن أحادثه وأطمئن عليه.

إنه مع كابتن مصطفى في غرفة العلاج الطبيعي.

حسنا، أبلغيه تحياتي، سلام.

أطلقت زفرة موجعة من أعماق قلبها؛ فطوال الثلاثة أشهر الماضية لم يحادث ابنه سوى مرات معدودة، ولم يفكر أن ينزل ليطمئن عليه، ولو لأسبوع واحد فقط، شيء بداخلها قد

شُرِخ، مشاعرها التي قيدها زوجها في قفص الانتظار، أنوثتها التي أهملها بحجة السفر، واحتياج ابنهما إلى الأبوة الضائعة.

سنة دفعت سنة أخرى، ومشاعر الإهمال قد أشعلت رماد الاشتياق، ولا سبيل لإرواء بئر الحرمان، وكم من توسلات قدمتها حتى ينهي عمله ويعود لأحضان أسرته، ويكفي القلوب شر البعاد، ولكن هيهات أن يركل جرة الذهب التي أهدتها له السماء.

عرضت عليه أن يصحبهما في غربته، ربما تعيد ترميم شروخ روحها، ولكن كل محاولاتها باءت بالفشل.

أربع سنوات عجاف مرت عليها، وبراكين الاحتياج أوشكت على الانفجار، وسيول الحنين قاربت على إغراق كل مبادئها.

صوت جرس الموبايل شق هدوء الليل، تقلبت في فراشها، أزعجها إلحاح الموبيل، أمسكت به، أدهشها أن يتصل (سامح) في هذا الوقت المتأخر.

ألو.. منال، آسف على إزعاجك، هل أنت نائمة؟

لا عليك يا حبيبي، خير ماذا بك؟

كان من المفترض أن تكون إجازتي خلال الأيام المقبلة؛ ولكني أعتقد أنه لا أهمية لتلك الإجازة، فما رأيك أن نصبر قليلًا حتى أنهي أقساط الشاليه الجديد، ثم نعيد التفكير في مسألة الإجازة؟

هدوء تام سيطر على المكالمة، وكأن لعنة الخرس قد حلت بها.

ألو.. ألو.. منال... أين أنتِ؟

أنا لست معك يا سامح.

قالتها بنبرة تحدي واضحة.

ماذا تقصدين؟

أنتَ حر في حياتك، مسألة الإجازة لم تعد تهمني، اتخذ قراراتك وحدك، وأنا سأتخذ قراري وحدي، وأول قرارتي هو أن نتفق على الطلاق، فأنا لست دمية تتحكم بها، ولست بجماد لتتركني أربع سنوات بين حوائط الانعزال، ولن أطيق

صبرًا في انتظار رجل صارت حياته كلها حسابات واهمة،

إن لم تطلقني، لن أخجل من رفع قضية خلع، فرجاء حافظ على كرامتك وحقق لي طلبي، فأنا لست بحاجة إلى صراف آلي.

منال.. هل جننت؟! طلاق؟! خلع؟! إن حياتي كلها من أجل إسعادكما وتحقيق كل أحلامكما و....

قاطعته ساخرة:

أحلامك أنتَ في الثراء، كان حلمي أن تكون لنا حياة كريمة، ثم استكمالها معك ونحن معًا، ولكن ما يحدث الآن مسرحية هزلية، فأنت طامع في كل شيء، ولن انتظر حتى تحقق أحلام الثراء، بعد أن يتساقط ربيع عمري، وتتآكل سنوات شبابي

أغلقت (منال) الموبيل للأبد، وقد اتخذت قرار الانفصال، يكفيها ما ضاع من عمرها في انتظار حب منتهي الصلاحية.

قتل بارد

أصوات عالية صادرة من شقة الأستاذ (فوزي)، حركات سريعة وصرخات مكتومة، وأقدام تتجه نحو باب الشقة، رجال الشرطة تقتحم المكان، رجل خمسيني ملقً على الأرض وسط بركة من الدماء، وسيدة أربعينية تجلس بجواره وهي منهارة تمامًا، بينما طفلتان تبكيان بحرارة في ركن منزوٍ.

سيدي القاضي، هذه السيدة المتوحشة، انقضت على زوجها فور عودته من العمل، ولم تدعه يهنأ بطعام العشاء، دخلت معه في مشادات كلامية انتهت بضربها إياه بسكين المطبخ،

أي عمل وحشي هذا الذي قامت به تلك المجرمة؟! تقتل

زوجها الذي يشهد له كل أهالي المنطقة بحُسن المعاملة ودماثة الخلق، ماذا فعل بها حتى تنتهي حياته تلك النهاية المؤسفة، إني أطالب بتوقيع أقصى العقوبة على تلك السيدة عديمة الإحساس والرحمة.

قالها وكيل النيابة وسط همهمات الحاضرين في قاعة المحكمة.

دق القاضي بمطرقته وطالب الجميع بالتزام الهدوء، خاطب السيدة المتهمة:

يا سيدة (عزة) ألديك محامٍ يدافع عنك؟

ردت السيدة منكسةً رأسها:

الله معي.

ثم عاود سؤالها:

ما رأيك فيما هو منسوب إليك من القتل العمد لزوجك المدعو (فوزي)؟!

صمتت السيدة، زاغت عيناها بين جمهور الحاضرين

فوجدت (مريم) و(ملك) طفلتيها التوأم، ذاتا الأربعة عشر عامًا تبكيان بجوار جارتها (أم أحمد) كرر القاضي سؤاله، وساد صمت عميق، الكل ينتظر إجابة السيدة، ولكنها أومأت برأسها بالنفي وسكتت.

يا عزة أتعرفين ماهي عقوبة القتل العمد؟

سألها القاضي، ربما أجبرها سؤاله على التحدث بأي معلومة.

ارتسمت على وجهها آيات القهر والعجز، ودموع فياضة انهمرت من عينيها.

يا (عزة) سيُحكم عليك بالإعدام إن لم تدافعي عن نفسك.

ساد هرج ومرج في القاعة، وتعالى نحيب الفتاتين، وانتفضت إحداهما تقول:

أمي بريئة.. أمي بريئة.. أنا وأختي السبب في الجريمة.

تعالت أصوات الجموع وصراخ السيدة:

لا.. لا تصدقوا ابنتاي، أنا من قتلت ذاك الكائن المدعو

(فوزي)، ابنتاي ليس لهما أي دخل، أرجوكم لا تصدقوهما.

طرق القاضي بمطرقته حتى يُحد من أصوات الجميع، ثم أردف قائلا:

تعال يا بنيتي، اقتربي من المنصة.

جرت الفتاة أقدامها وهي ترتجف، تقدمت ببطء شديد، والدموع تنهمر بغزارة، أشار لها القاضي بالاقتراب أكثر:

اهدئي يا صغيرتي، وامسحي دموعك، ولا تخافي، أخبريني.. من
قتل زوج أمك السيد (فوزي)؟

تنهدت الفتاة واستجمعت قواها قائلة:

توفي أبي منذ كنت أنا وأختي ملك في الرابعة، وانفقت أمي وقتها وجهدها في تربيتنا، فكانت تذهب لوظيفتها صباحًا، وتحيك الملابس مساءً، ولكن الناس لم ترحمنا، فتعرضت أمي للكثير من المضايقات، ولم نسلم أيضًا من ألسنة الجيران،

برغم أننا مقتصرين عن الكل، حتى ظهر عمي فوزي في

المنطقة، جار جديد سكن في شارعنا، واقنع أمي بالزواج، ووافقنا على مضض حتى نريح أنفسنا من كلام الناس بأننا بلا رجل.

عادت (مريم) للبكاء والهمهمة سادت القاعة، مسحت دموعها سريعًا وتمالكت أعصابها، ثم واصلت كلامها:

ولكن عمي فوزي لم يقدم لنا السند الذي كان ينقصنا، فما زالت أمي تعمل صباحًا ومساءً من أجل توفير حياة كريمة لنا، كان يعامل أمي بطريقة سيئة، فيتعمد إهانتها وضربها أمامنا، وهي بلا حول ولا قوة، يسهر ليلًا في المقاهي وينام طوال النهار، أوهمنا أنه صاحب مكتب للعقارات، واكتشفنا أنه عاطل يعيش على جهد السيدات، تزوج كثيرًا قبل أمي، وهذا ما عرفناه بعد ذلك، وليت أمره المخزي وصل لهذا الحد فقط.

سكتت (مريم) وكأنها تجاهد نفسها لتواصل كلامها وانفجرت ثانية في بكاء هيستيري لم تستطع أن تتوقف.

صرخت(عزة):

كفى يا مريم، لا داعي لمواصلة الحديث يا حبيبتي، سوف

أتكلم أنا، اجلسي بجوار أختك.

عادت مريم بجوار أختها واحتضنتها، وهما تمسحان دموعهما.

تكلمت(عزة)، بصوت محشرج ودموع منهاله:

اعتقدت أن الحياة ستبتسم لي أنا وبناتي، وأن زواجي الثاني سيعفيني من إنفاق صحتي وعمري في طاحونة الحياة المريرة، ولكن ظني قد خاب، توسمت فيه خيرًا، واعتقدت أنه سيكون سندًا لي ولبناتي، اكتشفت أنه عاطل يقتات على جهد السيدات، يقضي وقته على المقاهي وملاحقة الجميلات، يتناول معظم المحرمات، وحين حاولت أن أنصحه، تطاول عليّ بالسب والضرب، ثم كانت الطامة الكبرى، التي زلزلت كياني، وأفقدتني الوعي، وتحولت فيها إلى وحش كاسر.

توقفت عن الكلام، دموعها أغرقت وجهها وصوت نحيبها أسكت قاعة المحكمة.

سيدي القاضي، قتلت (فوزي)، بمقص الخياطة، قتلته بعد أن دمرني الشك، وتيقنت أنه حيوان، بل إن بعض الحيوانات تخشى على صغارها، ذاك القذر فقد عقله وحاول أن ينتهك

عرض ابنتاي الصغيرتين، طفلتين لم تتجاوز أعمارهما الرابعة عشر، بدأ في تحسس جسدهما وهما نائمتان، وحينما اكتشفت ذلك صدفة، حاول تبرير موقفه بأنه يحكم عليهما الغطاء، وكم من مرة تشتكي البنتان من حركاته ولمساته

المريبة، حتى جاء ذاك اليوم اللعين، الذي عدت فيه من عملي الصباحي مبكرًا على غير العادة، ويا هول ما رأيت! (ملك) مقيدة بحبال على كرسي ومكممه الفم، أما (مريم) حاول أن يجردها من ملابسها، وسبحان من جعلني أعود مبكرةً، جن جنوني حين رأيت هذا المشهد المخزي، دخلت معه في معركة بالأيدي، وقطعت وجهه وجسده بالمقص، ولم أهدأ إلا بعد أن تحول لجثة هامدة، نعم، أنا من قتله يا سيدي، بعد أن قتل ابنتاي بطريقة باردة، وكسر كل قواعد الإنسانية، ولست نادمة، أبدًا، أبدًا.

عمت فوضى هائلة في القاعة، أصوات تلعن وتسب، وأخرى تدعو على القتيل، وأخرى تشيد بشجاعة المتهمة، ودموع الحاضرين تهز أرجاء المكان، وفجأة دق القاضي

بمطرقته صارخا:

الحكم بعد المداولة.

عيد زواج سعيد جدًا

يبدو أنه يوم مميز، فاليوم عيد زواجها العشرين، ولابد أن كثير من المفاجآت ستكون من نصيبها، أيقظت (هيام) زوجها كالمعتاد ليلحق بموعد عمله، وأعدت له إفطارا شهيًا على غير العادة، ولكنه رفض بحجة ضيق الوقت.

عزيزي، إنه يوم مميز، وإفطار شهي هيا تناول معي الطعام.

قالتها بكل دلال، نظر إليها متعجبًا:

ما المميز في هذا الصباح؟ ثم إنه علىَّ اللحاق بالعمل، أراكِ لاحقًا يا عزيزتي.

رفعت حاجبيها وهي ترافق زوجها لباب الشقة، تستغرب كيف لم يتذكر عيد زواجهما، وهل سيلاحظ أن الأبناء سيقضون ليلتهم مع الجدة، تبًا لهؤلاء الرجال لا يلاحظون تلك التفاصيل المهمة.

قضت نهارها في ترتيب المنزل وتزيينه، وإعداد أطيب الأصناف، وتجملت حتى بدت كعروس يوم زفافها.

الثامنة مساء، موعد مجيء زوجها (عزمي)، ألقت نظرة على أركان الشقة، وتأكدت أن الطعام جاهز على الطاولة، وأن الشموع تضيء المكان.

دخل زوجها، فوجد الظلام يشمل المكان إلا من إضاءة خفيفة، تحسس موضع الكهرباء لينير المنزل، سمع صوت

موسيقى هادئة، وصوت زوجته وهي تناديه:

كل عام ونحن في سعادة حبيبي.

نظر إليها بتعجب:

لِمَ يا عزيزتي، اليوم ليس عيد الفطر أو الأضحى، وعلى

ما أتذكر ليس عيد ميلادي أو ميلادك، فما المناسبة؟!

اقتربت منه معاتبة:

كيف تنسى مثل هذا اليوم؟ تعال معي لابد وأنك جائع.

أضاف مؤكدًا:

حقيقة، فأنا أتضور جوعًا، هيا لناكل معًا.

تنقل من طبق لآخر، كنحلة تمتص من زهور متعددة الأشكال والأنواع، وبعد أن قام بهجومٍ كاسحٍ وشاملٍ على كل مواقع الطعام، جلس على الأريكة يتذكر ما هي تلك المناسبة القومية أو الدينية التي من أجلها تم إجلاء المنزل من الأبناء،

وإعداد وليمة مما لذ وطاب، وتغيير ملامح المنزل؛ ليبدو

كقطعة فنية، أخذ يعصر ذاكرته وهو يتناول كوب عصيره المفضل مع قطعة الحلوى الرائعة، ولكن يبدو أن مسارات الأطعمة قد ضغطت على مراكز الذاكرة فأتلفتها، وهمس لنفسه:

«يا ويلتي؛ إن لم أتذكر ما هو اليوم؛ سوف أجهز نفسي

لمعركة ربما خسرت فيها حياتي».

جلست بجانب زوجها قائلة:

كل سنة ونحن في حب دائم يا حبيبي.

ابتسم لها قلقًا، وفجأة تذكر:

ونحن بخير يا حبيبتي، الأطعمة كلها رائعة، والمنزل لافت للنظر.

نظرت إليه متسائلة:

أتذكرت ما هي المناسبة؟

ردّ على الفور وبفخر، كأنه امتحان:

طبعًا، إنها ذكرى عيد زواجنا.

باغتته بالسؤال:

كم مر على زواجنا يا حبيبي؟

زاغ بعينيه وارتسم التوتر على ملامحه ثم ردّ بدبلوماسية:

حبيبتي، لا يهم كم مرّ على زواجنا، فأيامي معك غير معدودة من فرط السعادة.

مطت زوجته شفتيها من تلك الإجابة المحايدة ثم سألته:

إذن؛ أين هدية عيد زواجنا؟

لم يتوقع هذا السؤال.

اعذريني يا حبيبتي، فذاكرتي لم تعد تستوعب كم الأيام الرائعة، نسيت حقًا ولكني سأعوضك لاحقًا.

أراد أن يغير الحوار فسألها قائلا:

حبيبتي، كم أعمارنا؟

اندهشت من سؤاله:

عمري؟! أنسيت؟! أنا في الخامسة والأربعين، وأنت في الخمسين، ولكن لِمَ هذا السؤال؟!

ابتسم قائلاً:

أقصد أننا احتفلنا كثيرًا بعيد زواجنا، وأهديتك مرارًا هدايا

عديدة، ثم إننا قد كبرنا على هذه الاحتفالات، وغزا الشيب رؤوسنا.

ردت ساخرة:

كبرنا.. وغزانا الشيب؟!

تمتم لنفسه: «يبدو أنى أفسدت الأمر برمته، مرحبًا بالهلاك الأزلي».

أمسك بيديها قائلا:

هيا يا عزيزتي، سوف أحتفل معك بعيد زواجنا على طريقتي لأعوضك هديتي المنسية.

ضحكت عاليا واستعدت للنهوض:

كلا يا عزيزي، فإن موعد دواء الضغط والقلب قد حان، وسأقوم بدهان مفاصلي، أنتَ تعلم فقد كبرت واستولت الشيخوخة على كل أجزائي، عشرون سنة من الزواج كافية بتدمير كل الأجهزة الحيوية للجسم.

طبعت قبلات عديدة على وجنتيه ثم ودعته قائلة:

عيد زواج سعيد يا زوجي العزيز، تصبح على خير.

تركته وهو غارق بين أفكاره، لا يدري أبعد كل هذه السنوات لا يستطيع أن يفك شفرة زوجته، ألهذه الدرجة لوغاريتمات المرأة غير قابلة للحل؟!

أحلام مؤجلة

لم تنم ليلة البارحة، كل أحلام السعادة داعبت عينيها وأفقدتها لذة النوم، وأخيرًا ستحقق حلمها في صدور كتاب يحمل اسمها، الكاتبة ليلى سالم وروايتها «بين أغصان الحنين».

كم جاهدت الأيام وعاندت الأقدار لتقف على أعتاب حلمها القديم، حلم طاردها طوال سنوات عمرها السابقة، حاولت أن تثبت أوتاده في ساحات حياتها، استهلكت من طاقتها لتستعيد حقوقها الإنسانية بعد أن انسكب مداده بين أوراق الإهمال.

لم يرَ زوجها (آسر) في أحلامها تلك سوى إهدارًا لوقتها، ومضيعًة لحقوقه الذكورية، فتخلت عن كل آمالها وقيدتها في

سجل الانتظار أو ربما اللا عودة.

عشرون عامًا من حياتها، حققت فيها إنجازات عظيمة في نظر المجتمع، هي زوجة وأم لطفلين، فقط؛ زوجة وأم، بلا طموحات أو أمنيات، مجرد وسيلة تحقق السعادة للغير، وتحسدها الأخريات على حياة الاستقرار الواهمة.

أسرعت في تناول إفطارها، ارتدت ثيابها، ألقت نظرة سريعة في المرآة، ارتسمت على شفتيها ابتسامة رضا، ما زالت تحتفظ بشيء من شبابها ونضارتها، بالرغم من تجاوزها الأربعين، قادت سيارتها إلى معرض الكتاب، ومئات من الرسائل تصدر رنينًا مميزًا من جوالها، كتاباتها محط إعجاب الكثيرين على مواقع التواصل الاجتماعي.

وأخيرًا ستحقق حلمها المنشود وترى كتابها الأول، وليدها البكر الذي سعيت من أجله كثيرًا.

استطاع آسر أن يكسب موقف أسرتها، ويشحن صدروهم رفضًا تجاه خطواتها في تحقيق حلمها الوحيد، اتفقوا معه على أن ما تسعى إليه مجرد أضغاث أحلام، وأن جنونًا مسها

يوم أن ظنت نفسها كاتبة.

ولداها فقط من شجعاها على اتخاذ تلك الخطوة، فهما يعرفان والدتهما، حالمة رومانسية، تفيض حب ومودة على الجميع، هي بالنسبة لهما مصدر الدفء في البيت، ووطن دائمًا ما يلجئان إليه، بسبب محاولات أبيهما الفاشلة في توجيههما.

(عمر) و(معاذ) طفلاها الرائعان، خلاصة جهدها في عشرين سنة ماضية، ها هما الآن في الجامعة، يحصدان ما زرعته فيهما من رحمة وإنسانية وإيثار، فكانا أكثر شبهًا بها، ساندها حينما طلبت الطلاق من أبيهما، فهما يعلمان كيف ضحت بكل آمالها،
من أجل أن تضعهما على طريق المستقبل، ولولا انشغالهما بالامتحانات لكانا معها لحظة بلحظة وقت توقيع كتابها الأول.

أسرعت الخطى بعيون متلهفة وروح متشوقة؛ لتنعم برؤية كتابها تتلقفه أيادي المعجبين.

مضت الساعات الأولى وهي في حفل توقيع كتابها الأول

بين أصدقائها ومتابعيها كالفراشة تحلق هنا وهناك، ومكالمات

عديدة تبارك لها إصدارها الأول.

انتهت ساعات المعرض الأولى وهي تحصد ثمار أحلامها بين ابتسامات ودعوات صادقة بالتوفيق، وكادت أن تغادر أرض المعرض لولا أن أوقفها صوت هادئ النبرات، سمح الملامح.

مبارك إصدارك الأول يا أستاذة، هل تسمحين لي بالتوقيع؟

استدارت لتجده شابًا في أوائل الثلاثينيات، أسمر البشرة، كحيل العينين، رياضي البنية إنه (محمود) «يا ألله، فقد أغلقت بابه منذ أكثر من عامين، حين تعثر في طريقها يناشدها المساعدة؛ ليحقق حلمه في الكتابة، ما الذي آتى به الآن؟! أ جاء يكشف بوابة الماضي، ويشعل رماد حرائقي الملتهبة، بعد أن انصهرت
داخلي، وأنا أحاول إطفائها.»

هكذا حدثت نفسها حينما وقع بصرها عليه.

الله يبارك فيك، هات الكتاب لأهديك توقيعي.

قالتها وهي تتلجلج في ردها، أمسكت بالكتاب وهمت بالكتابة، ولكنه أوقفها قائلًا:

هل من الممكن أن تكتبي بخطك جملة أحفظها عن ظهر قلب وأحبها كثيرًا؛ «ستبقى بقلبي محمود المقام ما حييت».

سقط القلم من يدها، سارعت بالتقاطه، وهي تعتذر له فهي تكتفي بكلمات الشكر والامنيات بقراءة ممتعة، أنهت اللقاء، ثم غادرت المعرض سريعًا، وهي تركب سيارتها بدموع حارقة وأوجاع جديدة.

لماذا ظهرت الآن يا محمود؟ ألم اتفق معك بألا تظهر في حياتي ثانيةً؟ ألم يكفيك ما سببته لي من حروب مع نفسي حينما أنبتَّ أمل الحياة في قلبي؟! لقد عانيت
سنوات عمري الماضية، وأنا أقدم كنوز جهدي وخلاصة

اهتمامي ورعايتي لرجل لا يراني، ولا يعترف بي، لا يؤمن بي كإنسان، إنه فقط يبحث عن جسد يفرغ طاقته الحيوية، يرى أن كل دوري في الحياة يتلخص كزوجة وأم فقط، لا مشاعر يضعها في الاعتبار، ولا خطط يسعى لتنفيذها من أجل

إرضائي، انفقت سنواتي وأنا أشتهي الحب، ولكني أوصدت عليه ألف باب حديدي، حتى لا تصيبني لعنة المجتمع، زوجي رجل ناجح بكل المقاييس، له مستوى أخلاقي وثقافي ومهني يجعله محط أنظار الجميع، ولكنه يفتقر للغة الحب والحوار، يؤمن بأن المرأة ما هي إلا ماعون للرجل، وليس لها أي حقوق سوى المستوى المعيشي الراقي فقط.

مئات الأفكار راودتها وهي في طريقها للمنزل، وما أن وصلت حتى هاتفها ابناها ليطمئنا عليها، وعلى نجاح يومها الأول في المعرض.

كم أحبكما يا صغيريا، ولولا أنى لا أريد لحياتكما الدمار،

لكنت انفصلت عن أبيكما منذ زمن طويل، ولكني انتظرت حتى أشتد ساعديكما، وأصبحتما في عمر النضوج لتدركا الحقيقة، والحمد الله على تفوقكما الدراسي في الجامعة، ووصلت أنا وأبيكما لاتفاق الطلاق بعد استحالة المعيشة، فأصبحتما معه طوال الدراسة ومعي طوال الإجازات.

هكذا تسارعت الأفكار برأسها، وغطت في نوم عميق بعد

يوم طويل جدًا.

قضت الأيام الثلاثة المتتالية في بيتها، فاقدة الشهية، لا ترغب في شيء، تتابع أخبار كتابها على مواقع التواصل الاجتماعي، ولكن دار النشر هاتفتها بضرورة الحضور، فكثير من المتابعين يسألون عنها.

نفضت عنها الكسل والضيق، ارتدت بنطال أسود، وقميصًا ورديًا، وبدت وكأنها ما زالت في العشرين من عمرها، تواجدها في المعرض كان سببًا في استعادة فرحتها، الكثير

يسأل عن الكاتبة الموهوبة ويتمنى توقيعًا على الكتاب، وكاد أن ينتهي يومها في سلام لولا أن رأته، اقترب منها ومد يده مصافحًا لها، طلب منها الحديث على انفراد في كافتيريا المعرض، حاولت أن ترفض، ولكن شيئًا ما داخلها منعها.

في ركن منزوٍ داخل كافتيريا المعرض، بدأ محمود حديثه:

بعد أن طلبتي مني الانسحاب من حياتك، حاولت مرارًا أن أزيحك من تفكيري، ولكن الوقت كان دافعًا قويًا لتثبيتك داخل قلبي، انشغلت في حياتي العملية وحققت نجاحًا كما وعدتك سابقًا، صار لي مشروعي الهندسي الخاص، تزوجت حتى تكتمل الحياة.

حقا تزوجت يا محمود؟ ألف مبروك.

قالتها كمن يزيح مرارة الذنب عن ضميره.

نعم، واستمر زواجنا عامًا فقط، حاولت أن أكون زوجًا مثاليًا، ولكني فشلت، وهي لم تتحمل معي طريقة تفكيري وحبي للكتابة وانشغالي بموهبتي، كانت ترى أنها أمور تافهة

لا محل لها من سياق الحياة، كان همها هو السفر والتنزه والخروج يوميًا.

أمر طبيعي لكل السيدات يا محمود، وخاصة إنها شابة في مثل عمرك أو ما ينقص عنك.

نعم كانت أصغر مني بحوالي سبع سنوات، ولكنها كانت ترى الحياة بمنظار ضيق جدًا، عقلها فارغ إلا من التسوق والتزين والتنقل هنا وهناك، وأنتِ كما تعرفينني أحب الهدوء، فاستحالت الحياة بيننا، وكان لابد من الانفصال.

انفصلتما؟!

للأسف، كان هذا هو الحل المناسب لكلانا، فأنا لم أرَ السعادة بعيدة عنك يا ليلى، كل يوم يصارعني الهوى، ويحثني أن أحادثك؛ ولكني خشيت من ردة فعلك، كنت متابعًا جيدًا لك، حتى بعد أن أغلقتي في وجهي كل وسائل التواصل الاجتماعي، أنشأت حسابًا آخر باسم آخر، وكنت أتابع نجاحاتك وكتاباتك وكل أخبارك، فأنت لم تغيبي عن خاطري ولو للحظة واحدة، أتمنى أن تقبلي عرضي للزواج منك للمرة الثانية.

يا محمود، لقد طويت هذه الصفحة منذ أكثر من سنتين، ولن أستطيع فتحها ثانية، فأنا أم لشابين وكاتبة على قدر من المسؤولية، ولا تنسى أزمة فرق العمر التي بيننا.

أنا لا أرى فرقًا إطلاقا، كنت وما زلت في عيني أجمل سيدة، وأرق إنسانة، ملاك طائر يوزع حبًا وحنانًا على الجميع، ابتسامتك لا تفارقك مهما تكاثرت عليك الهموم، أنا أحبك يا ليلى، سأظل أحبك لآخر العمر، وسأحقق حلمي الوحيد بأن تكوني لي.

ارتعدت أوصالها لدى سماعها كلمة (أحبك)، وهمت

بالانصراف، لولا أن أمسك يديها، ارتجفت وتلفتت يمنة ويسرة، وتوسلها ألا ترحل.

أرجوكِ يا ليلى لا تتركيني كما فعلتي من عامين، أنا لن أستطيع مواصلة أيامي دونك، جربت الابتعاد عنك ولم أفلح، تزوجت بأخرى وتحولت حياتي لجحيم، أصبحت جثة على قيد

الحياة، أمارس كل طقوس الحياة بلا إحساس أو شغف، أتوسل إليك أعيدني للحياة.

محمود، هل تعلم كم عمري الآن؟!

نعم أعلم جيدًا، أنت الآن على مشارف عامك الواحد والأربعين، وأنا أتممت عامي الثلاثين، ولا أرى لتلك السنوات العشر أي مشكلة عندي.

ماذا عن أهلك؟! المجتمع؟! العادات والتقاليد؟! أتستطيع أن تحارب كل هؤلاء.

نعم، سأعلن الحرب في وجه من يقف أمام سعادتي، لقد خسرتك مرة، ولن أخسرك ثانية، تبًا لكل الأعراف والتقاليد

البالية، وألف لعنة لجميع البشر، الذين يمنعون ارتباطنا لمجرد فارق السن، أنا أحبك يا ليلى، ومتيقن بأنك ما زلتِ تحبينني، هل ما زلتِ تتذكرين هذا الكارت؟

أخرج من حافظة نقوده كارتً مطويًا بعناية، فتحه أمامها، وقرأه:

«كل عام وأنتَ في قلبي محمود المقام ما حييت»، أنها حروفك يوم ميلادي، هل تتذكرين؟! كلما ضاق بي الحال فتحته وقرأته لتسكن روحي الثائرة، أرجوكِ يا ليلى، أنا بحاجة إليك.

مسحت دموعها المتساقطة وهي تتمتم بعبارات:

ماذا عن ابنايا؟ عائلتي؟ الناس؟ ماذا سيقولون عني؟! امرأة متصابية حلت عليها لعنة المراهقة وأحبت شابًا يصغرها بعشرة أعوام، وأنت أليس من حقك أن تكون أبا؟! أنا لن أستطيع أن أحقق لك حلم الأبوة بعد أن صار ابنايا كبيرين.

لا أريد أبناء يا ليلى، لا أريد، أنتِ فحسب.

إنه الظلم بعينه يا محمود، كيف تحكم على نفسك بعدم الإنجاب لمجرد حبك لي؟!

أنا لم أحكم على نفسي، القدر هو من حكم عليّ بعدم الإنجاب، بعد سنة من زواجي الأول واستعجال الأسرتين بأن يكون لنا طفل، سارعنا بعمل الفحوص واكتشفت عدم قدرتي

النهائية على الإنجاب.

أنا آسفة جدًا يا محمود، لم أكن أعلم بـ...

صدقيني يا عزيزتي، أنا مؤمن جدًا بقضاء الله، وأعلم أنه الخير لي، مثلما كان الخير في انفصالك عن زوجك، الذي دفعك هذا الأمر لتحقيق حلمك، نحن من نصنع الشر لأنفسنا، حينما نصرف السعادة عن أيامنا ونبخل بقليل من نور يضيء عتمتنا، الحياة ما تزال أمامنا، وإن كان الفشل قد أصابنا في السابق فلنواصل طريقنا، ولنضع معاطف اليأس جانبًا ونرتدي ثياب الفرح، فهل تقبليني زوجًا لك؟

تناول كفيها بين يديه وضغط عليهما وهو ينظر إلى ثغرها الباسم، وإيماءة من رأسها أعلنت موافقتها، لتسطر فصلًا جديدًا من روايتها مع الحياة.

تمت بحمد الله

الفهـــــرس

تكريم الراحلين	١٤
ميت على قيد الحياة	١٨
أعانكم الله	٢٢
كرم القدير	٢٨
ثمرة الهنا	٣٣
طاحونة الحياة	٣٦
حصاد العمر	٣٩
شموع الميلاد	٤٣
حسابات خاطئة	٤٧
موعد مع الحياة	٥٢

أمل عاجز	٥٧
خيانة العِشرة	٦١
صرخة زوجة	٦٦
سنوات الحرمان	٧١
ظلام دامس	٧٦
وسواس التأنق	٨٣
حب منتهى الصلاحية	٨٧
قتل بارد	٩٣
عيد زواج سعيد	١٠٠
أحلام مؤجلة	١٠٧